الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مسار التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

الموسومة بـــ:

حركة التأليف التاريخي بالجزائر ودورها في النضال السياسي إبان الإحتلال الفرنسي ما بين 1900م و1954م

إعداد الطلبة:

بوفادينة أحمد

علوش أحمد

إشراف الدكتورة:

حباش فاطمة

أعضـــاء لجنـــة المناقشـــة:

أ. مصطفى عتيقة ..... رئيسا

د. حباش فاطمة ..... مشرفا

د. حمري ليلى ..... مناقشا

السنة الجامعية: 1438ه-1439ه/2017-2018م

شكر وعرفان

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وإمتنانه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم أما بعد:

قال رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم:﴿ **لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ، من صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ما تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَى تَرَوا أَنَكُمْ قَدْ كَافأْتُمُوه**﴾

عملا بهذا الحديث يسرنا في البداية أن نتوجه بالشكر الجزيل والثناء الخالص، إلى الأستاذة المحترمة "حباش فاطمة"، التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث المتواضع، وأسدت لنا معروفا كبيرا بتوجيهاتها العلمية المفيدة والصائبة، وحسن تدبيرها وجميل صبرها ورحابة صدرها، وقوة دعمها وتشجيعها وتحملها عناء تصحيح أخطائنا وتصويبها.

كما نتوجه بأسمى عبارات الشكر والتقدير لعون العائلتين الكريمتين، وأساتذة جامعة ابن خلدون تيارت، وزملاء الدراسة كل باسمه، دون أن ننسى فضل عدد كبير من القائمين على شؤون المكتبات، خاصة الطاهر مولاي بسعيدة، ومتحف المجاهد، ومكتبتي رضا حوحو وسعد دحلب بـ -تيارت- وجاك بارك بفرندة.

﴿ **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾

أهدي ثمرة جهدي إلى:

من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى

الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسيمة مترجمة في تقديسه للعلم،

إلى التي رعتني حق الرّعاية وكانت سندي في الشدائد، وكانت دعواها لي بالتوفيق،

تتبعتني خطوة خطوة في عملي.

أبي وأمي أطال الله في عمرهما.

إلى إخوتي، أصدقائي وزملائي كل باسمه.

إلى روح الخال الغالية.

إلى شهداء الجزائر الأبرار.

إلى كل من يحمله قلبي ولم يكتبه قلمي، إلى كل من تحمله ذاكرتي

ولم تكتبه مذكرتي أهدي عملي المتواضع.

الطالب: بوفادينة أحمد

إهداء

أحمد االله عز وجل على منه وعونه لإتمام هذا البحث.

إلى الوالدين... إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، فلولاهما لما وُجِدتُ في هذه الحياة، ومنهما تعلَّمت الصمود، مهما كانت الصعوبات، جزاهما الله عني خير الجزاء في الدارين.

وإلى إخوتي الذين تقاسموا معي عبء الحياة

إلى أساتذتي الكرام، فمنهم استقيتُ الحروف، وتعلَّمت كيف أنطق الكلمات، وأصوغ العبارات، وأحتكم إلى القواعد في الحياة.

إلى الزملاء والزميلات، الذين لم يدَّخروا جهدًا في مدِّي بالمعلومات والبيانات.

أهدي إليكم رسالة عملي .

داعيًا المولى – سبحانه وتعالى– أن تُكلَّل بالقبول وتكون سراجا للسنون.

الطالب: علوش أحمد

قائمة المختصرات:

– بالعربية:

01	ج	جزء
02	د ط	دون طبعة
03	دت	دون تاريخ
04	ط	طبعة
05	مج	مجلد
06	ع	عدد
07	ع ن	عني به
08	ص	صفحة
09	شر	شرح
10	تح	تحقيق
11	تع	تعليق
12	تق	تقديم
13	تر	ترجمة

– بالفرنسية:

01	P	Page
02	ANEP	Agence Nationale pour L'édition et la Publicité
03	Op, cit	Opiéré Citalo

مقـــدمـــة

مقدمة:

تبنت الجزائر مطلع القرن العشرين في معارضتها للإستعمار الفرنسي سياسة جديدة غير تلك التي مارستها من قبل، سياسة لا تقوم على الثورة والعمل المسلح، بل تنشد تحقيق الوعي السياسي والثقافي للمجتمع، وسيلتها في ذلك الكتابة التاريخية أو التأليف بصفة عامة، فنادت بالتحرير عن طريق القلم واللسان، وحاولت الحفاظ على الهوية الوطنية مخافة طمسها، بنشر تعاليم الدين الحنيف وإعادة كتابة التاريخ الصحيح، وبعث الحياة في لغة الأصل والأجداد، ومنه شهدت هذه الفترة نشاطات اجتماعية وثقافية حسية، قادها جيل من العلماء الأعلام والمصلحين العظام، ومن المظاهر الهامة لهذا العهد طبع وإحياء الأعمال التاريخية الجزائرية.

إن العصر الذهبي هذا قد فتح أمام الجيل الجديد الذي كان قد نسي في أغلب الأحيان مساهمات أجداده في الحضارة الإنسانية باب الإحياء للتاريخ الوطني، ومحاولة تحقيق الربط بين الأجيال، وتعريف للمواطنين الجهلة والمضطهدين على بعض أنوار ماضيهم، والذي كلّف أهلها تضحيات جسام وصبر على الشدائد، ومجاهدة على العزائم وإيمانا راسخا بمجابهة هذه السياسة الهدامة، فظهرت منها شخصيات وطنية خلدها التاريخ، وأثبتت عظمة المناهضة عند أهلها.

حاولت الدراسة الموالية إستظهار معالم النشاط السياسي والإنبعاث الثقافي في الجزائر المستعمرة، وتسليط الضوء بصورة تحليلية على أبرز وأهم هذه الإنجازات التاريخية، التي رفع لواءها مجموعة من المفكرين والمصلحين الجزائريين.

ومن دواعي إختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بـ "**حركة التأليف التاريخي بالجزائر ودورها في النضال السياسي إبان الإحتلال الفرنسي ما بين 1900م و 1954م**" لم يكن وليد الصدفة أو الإرتجال وإنما جاء نتيجة :

– الرغبة في البحث عن أهم وأبرز المصلحين والعلماء المفكرين، الذين حملوا لواء النضال بطريقة سلمية، مهدت السبيل لظهور جيل جديد أكمل مسار المقاومة الوطنية.

– الإهتمام البالغ بالبعد الوطني التاريخي والحضاري للمجتمع الجزائري وربطه بالحاضر، وإبراز المحاولات الفرنسية في طمس وتغييب همزة وصله بينه وبين ماضيه الإسلامي العربي.

– بالإضافة إلى محاولة معرفة الإستراتيجيات والقنوات المستعملة، للخروج من الوضع الكارثي للأمة الجزائرية بعد عقود من الإحتلال، كما كان للأستاذة المشرفة دور كبير في مناقشة وعرض أفكار مختلفة من أجل الوصول إلى عنوان تكميلي للموضوع، خاصة ما تعلق بجانبه السياسي وهو ما ساهم في تقبل الموضوع بكل عفوية وإرادة وحماس كبيرين.

قال عبد الرحمن الجيلالي "إني لو كنت أنظر الكمال، كما يقول "**تاي تنج**"، لما فرغت من الكتاب إلى الأبد، فالكمال لله وحده عالم الغيب والشهادة، وهو بكل شيئ عليم"، ومن هذا المنطلق فإن في دراستنا لموضوع "حركة التأليف التاريخي إبان الإحتلال الفرنسي بالجزائر"، واجهتها صعوبات وعقبات متعددة ولعل أبرزها:

– صعوبة الحصول على النصوص الأصلية لعدد من الكتابات التاريخية الجزائرية، لِاحتكارها من قبل البعض أو لضياعها أصلا.

– تضارب واِختلاف الرؤى حول الإطار الزماني لصدور ونشر بعض المؤلفات القيمة خلال الفترة الإستعمارية، فكان لزاما علينا إختيار الفترة التي وجدت في عدة مؤلفات.

– قلة الدراسات التي تطرقت إلى إبراز البعد السياسي لهذه المؤلفات، وحصرها في الجانب الديني فقط.

محاولة منا لإتباع الطريقة العلمية الأكاديمية في معالجة مضمون الدراسة، ذهبنا إلى تصور إشكالية عامة كانت كالآتي: « **إلى أي مدى يمكن اِعتبار حركة التأليف التاريخي حلقة من حلقات النضال الوطني ضد الإستعمار الفرنسي؟ وهل تجسد التواصل بين الكتابات التاريخية في مختلف الفترات على نمط الإستمرار في النضال الوطني؟** »

وأردفناها بسلسلة من الأسئلة الجزئية، من هو الجيل الأول الذي حمل لواء التأليف لنشر الوعي الوطني بالجزائر؟ ماهي أبرز وأهم الكتابات التاريخية التي لعبت دورا في ميلاد الوعي الوطني؟

وأين تكمن القيمة السياسية لهذه المؤلفات، ودورها في تطور نشاط الحركة الوطنية؟ وهل كان هؤلاء العلماء مصلحين دينيين فحسب، أم تعدت إهتماماتهم إلى النضال السياسي الوطني؟

ولأجل معالجتنا لجوانب الموضوع جمعنا في دراستنا بين منهجين أساسين نحسبهما متكاملين وهما:

المنهج التاريخي الوصفي:

والذي يعتمد على وصف الأحداث التاريخية وسردها، وفق ما إستنبطناه من خلال دراستنا للمصادر وبعض الدراسات التي أمكنا الإطلاع عليها، ومحاولة دراستها دراسة علمية، فحاولنا رصد ظروف وعوامل بروز حركة التأليف في الجزائر على إمتداد الفترة الزمنية المتعلقة بدراستنا وإختيارنا للمؤلفات وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا حسب تاريخ صدورها.

المنهج التاريخي التحليلي:

والذي يعتمد على تحليل الأفكار واستخراج أهم الغايات والسبل التي من شأنها ظهرت هذه الحركة العلمية، بالإضافة إلى مساعينا في إستنباط القيمة العلمية والسياسية لهذه المؤلفات، ودورها في إحياء الفكر والوعي الوطني السياسي لدى الشباب الجزائري.

وقد تنوعت المصادر والمراجع التي إعتمدنا عليها في بناء وخدمة الموضوع ولعل أهمها:

– "إرشاد المتعلمين" للشيخ عبد القادر المجاوي: يعتبر هذا الكتاب بمثابة الصرخة القوية التي خاطبت ضمائر الجزائريين من أجل الفطنة واليقظة بغية تحسين الوضع العام للمجتمع الجزائري بعدما أصابه الخمول والكسل، نتيجة السياسة الإستعمارية التي كانت ترمي إلى محو الكيان الجزائري، كما يمثل الكتاب الرسالة القوية والمباشرة للشعب الجزائري، من أجل إتخاذ كل الإجراءات والتدابير التي يمكن من خلالها تخطي هذه المحنة التي تواجهه، وقد أفادنا هذا المصدر في تحليل وتغيير العديد من المفاهيم والأفكار السياسية التي كان يهدف الكاتب إلى إيصالها للمجتمع الجزائري خلال تلك الفترة.

– "تعريف الخلف برجال السلف" لصاحبه أبي القاسم الحفناوي: وهو من أهم المصادر في التراجم، وذكر سير العلماء المصلحين القدامى، وهو بمثابة الموسوعة العلمية التاريخية التي تعرف بالتراجم، ويضاف له على أنه دراسة وصفية تاريخية صادقة دالة على رسوخ علم الحفناوي واِتساع نبوغه، وتجلى ذلك من خلال العمل المخصص للجانب التراثي الذي أَطْلَعَنا عليه، وقدم لنا من خلاله نماذج حية ووقائع صادقة عن مجريات الأحداث السابقة.

– "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر" لمؤلفه محمد الأمير باشا: تضمن الكتاب أخبارا عن البلاد الجزائرية، ووقائع مفصلة عن كفاح الأمير عبد القادر الجزائري، كما اِتصف هذا المصدر بالطابع التاريخي والسياق الملحمي لتاريخ الجزائر خلال بداية الإحتلال، وبهذا أَطْلَعَنا هذا المصدر على العديد من الوقائع والآثار التاريخية التي خلفها الأمير عبد القادر، من خلال سيرتيه السيفية والعلمية.

– كتاب فرحات عباس "الشاب الجزائري": الذي أعطى لنا صورة حية عن تلك الأوضاع التي كان يعيشها المجتمع الجزائري، وما هي القرارات والإجراءات التي يمكن اِتخاذها من أجل تحسين الوضع العام للجزائر.

جاءت المراجع المعتمدة في دراستنا متنوعة ومتعددة من حيث القيمة العلمية، وما تحويه من أفكار ومواضيع مختلفة كان لها دور بارز وفعال في إعطاء الموضوع صبغة تاريخية وعلمية، من خلال المناهج المعتمدة في ذلك ونذكر أهمها:

– "كتاب الجزائر" لأحمد توفيق المدني: هو بمثابة الخزان الفكري والعلمي، الذي أراد صاحبه أن يوجهه إلى الشعب الجزائري لكي يخرج من قوقعة الظلام، التي كانت تحيط به خلال الفترة الإستعمارية.

– كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" لمبارك محمد الميلي: الذي أفادنا في دراسة ومعرفة القيمة العلمية والسياسية للأفكار التي كان يحملها هذا الكتاب، من أجل إحداث تغير جذري في تاريخ الجزائر المستعمرة، من خلال تطرقه إلى قضايا وأحداث ماضي الجزائر في القديم.

– كتاب "تاريخ الجزائر العام" لعبد الرحمان الجيلالي: الذي أفادنا هو الآخر في إعطاء صورة حية عن تاريخ الجزائر وماضيها في القديم، وعرّفنا بأهم البلدان والحواضر التاريخية بها من خلال

تعاقب الدول والمؤسسات السياسية، كما أطْلَعَنا على الهدف المباشر لهذا المؤلِف، ألا وهو التعريف بماضي الجزائر من أجل إتخاذ العبر وتحسين الأحوال العامة للعباد والبلاد.

كما إستخدمنا مجموعة من المراجع الأخرى، ك "تاريخ الجزائر الثقافي" و"الحركة الوطنية الجزائرية" لأبو القاسم سعد الله، التي كان لها دور كبير في خدمة موضوعنا من خلال تبيين بعض عناوين الجرائد والشخصيات، بالإضافة إلى مجموعة من المقالات التي كان لها دور كبير وبارز في إثراء موضوع دراستنا هاته، نذكر منها:

– "الكتابة التاريخية في الجزائر العهد العثماني أنموذجا" لمجلة عصور الجديدة، والتي قدمت لنا نماذج حية عن شخصيات كان لها دور كبير في كتابة تاريخ الجزائر وإبراز قيمته التاريخية التي تمجد الوجود القومي للجزائر.

– "عبد القادر المجاوي حياته وآثاره" لمجلة الثقافة، عرّفنا هذا المقال بشخصيات فكرية وعلمية، كان لها الأثر البالغ في إحياء النفوس وتغيير المجرى العام للمجتمع الجزائري خلال الفترة الإستعمارية، قد أفادتنا بشكل أو بآخر في تحرير متون هذا البحث المتواضع.

الهام في دراستنا هو الإجابة على الإشكاليات المطروحة سابقا، من خلال المادة العلمية التي إنتقيناها حول الموضوع، ولأجل ذلك إتبعنا خطة بحث حاولنا من خلالها الإحاطة قدر الإمكان بجوهره ودلالته، فإقتصرت على ما يلي: مقدمة تضمنت التعريف بالموضوع، بالإضافة إلى فصل تمهيدي وفصلين متوازيين، وخاتمة حملت مجموعة من الإستنتاجات وأردفناها بملاحق مرتبطة بمضمون البحث.

الفصل التمهيدي: جاء بعنوان "**دراسة تحليلية تاريخية لعوامل ومراحل التأليف بالجزائر 1830م- 1954م**" تطرقنا فيه إلى التعريف بحركة التأليف التاريخي لغة وإصطلاحا، ثم عرجنا على أبرز العوامل التي دفعت بهؤلاء المصلحين إلى إتخاذ التأليف كوسيلة من وسائل النضال الوطني، فذكرنا أهم الأوضاع التي ساهمت في بروز هذه الحركة منها السياسية، الثقافية والدينية، ثم تطرقنا في المبحث الثالث إلى مراحل التأليف بالجزائر خلال الإحتلال وإرتأينا تقسيمه إلى مرحلتين مهمتين، أما الأولى

فجاءت منذ الإحتلال وسقوط الجزائر في يد المستعمر، أما الفترة الثانية فجاءت مع مطلع القرن العشرين وما شهدته من تطور للأحداث السياسية والثقافية.

الفصل الأول: جاءت صفحاته تحت عنوان "**المؤلف الجزائري ودوره في ميلاد الوعي السياسي**"، وهو يضم ثلاث مباحث، المبحث الأول تطرقنا فيه بالدراسة والوصف لصاحب كتاب "إرشاد المتعلمين"، وهو شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي، وحاولنا اِستنباط القيمة السياسية لهذا المؤلف بغية إبراز دوره في عملية الإصلاح السياسي الذي عرفته تلك الفترة التاريخية، والمبحث الثاني قدمنا فيه دراسة وصفية لكتاب "تعريف الخلف برجال السلف"، لصاحبه أبو القاسم الحفناوي وحاولنا التعريف بأبرز وأهم أهداف هذا المنتوج العلمي الذي اِشتهر به، والمبحث الثالث عرضنا فيه هو الآخر منهج الوصف التاريخي لكتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر"، لمؤلفه الأمير محمد باشا، تعرفنا من خلاله على الأهمية التاريخية للكتاب، بالإضافة إلى الرسائل القيمة التي حملها في طياته من أجل إحداث النهضة السياسية في الجزائر المستعمرة.

الفصل الثاني: الذي عنوناه بـ "**أعلام الحركة الوطنية ونشاطهم في تطور العمل السياسي**" اِعتمدنا على أربع مباحث، تطرقنا فيهم بالدراسة والتحليل لأهم المؤرخين الذين ظهرت مؤلفاتهم مع ميلاد نشاط الحركة الوطنية ، وهم مبارك الميلي، فرحات عباس، أحمد توفيق المدني وعبد الرحمن الجيلالي، من خلال مجموعة من الكتابات التاريخية التي اِمتازوا بها، وحاولوا تغيير الوضع الاجتماعي العام خلال الحقبة الإستعمارية، وحاولنا اِستخلاص وإبراز قيمتها السياسية من أجل دفع الشعب الجزائري إلى النهوض واليقظة لتحسين أحواله المعيشية.

وأنهينا هذا العمل المتواضع بخاتمة اِستخلصنا فيها جملة من النتائج والإستنتاجات التي توصلنا إليها، وإرتأينا ضرورة إضافة وإلحاق بحثنا هذا بملاحق توضيحية والحاملة لأهمية كبيرة من القيمة التاريخية، ذات العلاقة والدلالة بالنضال السياسي لتغطي بعض جوانب الدراسة.

الفصل التمهيدي

دراسة تحليلية تاريخية لعوامل ومراحل التأليف

بالجزائر(1830م-1954م).

المبحث الأول: التعريف اللغوي والإصطلاحي لحركة التأليف.

المبحث الثاني: عوامل ظهور حركة التأليف التاريخي بالجزائر.

المبحث الثالث: مراحل التأليف التاريخي بالجزائر إبان الإحتلال الفرنسي.

تمهيد:

تعتبر حركة التأليف التاريخي من أهم الوسائل العلمية التي كان لها دور كبير وفعال في تنشيط الحركة الثقافية والسياسية لدى الشعوب والأمم، من خلال ما تزخر به من أفكار وتوجهات تسعى من خلالها إلى إحداث تغيير فكري وإجتماعي في أبرز القضايا التي يعالجها المؤلَف، ومن خلال ما سبق ذكره يمكن طرح السؤال الأتي: ماذا نقصد بحركة التأليف؟ وما هو دورها في نشر الأفكار والتوجهات في الإصلاح الثقافي والاجتماعي؟

المبحث الأول: التعريف اللغوي والإصطلاحي لحركة التأليف.

1– التأليف لغة.

ألَّفت الشيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض ومنه تأليف الكتب[1]، تفعيل من ألف الشيء إذا إنضم إليه دائما وغالبا[2]، وهو إخراج ما في الذهن من أفكار وصور ذهنية مبتكرة وإيداعها فيما يصلح لذلك، وتختلف طريقة هذا الإيداع فقد تكون في كتاب يُقرأ أو في شريط يُسمع أو غير ذلك، ويمكن تعريف التأليف على أنه "إيداع العالم ما يحصل في الضمير من الصور العلمية في كتاب ونحوه"، والمؤلَف ما جمع من أجزاء مختلفة ورُتب ترتيبا قُدم فيه ما يجب أن يتقدم وأُخِر فيه ما حقه أن يُؤخر.

2– التأليف إصطلاحا.

تأليف الكتاب ضم بعضه إلى بعض حروفا وكلمات وأحكاما ونحو ذلك من الأجزاء ويطلق على الكتاب مؤلفا لأنه يجمع ويضم معلومات تتعلق بعلم معين[3] .

يندرج تحت إسم "التأليف" ما ذكره العلماء من مقاصد وأهداف التأليف التي ينبغي اِعتمادها وإلغاء ما سواها، وهي شيء لم يسبق إليه فيؤلف فيه، ومن ذلك اِستنباط العلم بموضوعه، وتقويم أبوابه وفصوله، وتتبع مسائله، واِستنباط مسائل ومبادئ تعرض للمؤلف ويحرص على إيصالها لغيره، وهو ما يعبر عنه بقولهم "إختراع معدوم" وبالنظر إلى حركة التأليف يمكن أن نبين طريقة سلكتها المؤلفات وصولا من المؤلف إلى القارئ، بأن يعكف المؤلِف على جمع مادة كتابه ومراجعتها وتهذيبها وتنسيقها والإضافة إليها، ثم يخرجها للناس بعد أن تصبح بالصورة التي يرتضيها[4].

---

[1] – أبي الفضل جمال الدين محمد بن المكرم ابن منظور، لسان العرب، ج2، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص45.

[2] – حسين بن معلوي الشهراني، حقوق الإختراع والتأليف في الفقه الإسلامي، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2004، ص83 .

[3] – المرجع نفسه، ص83 .

[4] – نفسه، ص91 .

المبحث الثاني: عوامل ظهور حركة التأليف التاريخي بالجزائر.

شملت السياسة الإستعمارية جميع المجالات "الإنسان، الأرض، الثقافة والدّين" وهذا ما يؤكده المؤرخ الفرنسي "بول آزان Paul Azan" عندما يصف حالة الجيش الفرنسي سنة 1830م قائلا: "...لقد إرتكبوا أعمالا تخريبية حول مدينة الجزائر، لقد خربوا الفيلات والأحواش كما قطعوا أشجار الحدائق..." وعزز رأيه المؤرخ "بول غابريل Paul Gabriel" قائلا: "...لا توجد مدينة أحتُلت بهذا الشكل في العالم..."[1].

1- الأوضاع السياسية:

إن النظام السياسي الأمبريالي الإستعماري المنتهج في الجزائر منذ سنة 1830م، يقتصر على سياسة ذات ثلاثة أهداف، أولها إعتبار الجزائر قطعة فرنسية، وهي جزء لا يتجزأ من الإمبراطورية العظمى، وثانيها طمس الآثار التاريخية والشخصية الوطنية للشعب، وثالثها الوقوف أمام أي مشروع مناهض للسياسة الإستعمارية وعلى رأسها المقاومة المسلحة[2]، لقد فرضت السياسة الإستعمارية مجموعة من القوانين التعسفية التي تسعى إلى دمج وفرنسة الجزائريين، وظهر ذلك جليا في مرسوم 22جويلية 1834م، والقاضي بجعل الجزائر تحت الحكم العسكري، وبالتالي تصبح الجزائر مجرد منطقة عسكرية تابعة سياسيا للسلطة الفرنسية[3].

ومع مطلع سنة 1848م التي تعتبر الحدث السياسي الهام والمنعرج الخطير في تاريخ الجزائر، كون السلطة الفرنسية أصدرت مرسوما ينص على أن الجزائر قطعة فرنسية وهي جزء لا يتجزأ منها، وجاء هذا القانون نتاج الإنتصارات الفرنسية على المقاومات المنتظمة، أبرزها مقاومة الأمير عبد القادر وأحمد باي، ثم جاء قانون الدمج الذي يهدف إلى فرنسة الأرض وإستغلال الثروات الطبيعية في خدمة فرنسا وكولون الجزائر، الذين صمموا دائما على أن لا يكون هناك فرق بين الجزائر وفرنسا لأن

[1] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص25.

[2] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص89.

[3] – الزبير سيف الإسلام، صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص30.

في ذلك ضمان لأمتهم وحقوقهم وملكيتهم[1]، وفي 13جويلية 1863م قام مجلس الشيوخ الفرنسي بتبني سياسة جديدة وإحياء مشروع الإندماج ومصادرة الأراضي، وهذا ما يوحي إلى تشتيت أراضي العرش وتفرقة المجتمع إلى جهات وفئات متنازعة فيما بينها[2]، وقد توالت المشاريع الفرنسية الإستيطانية وإزداد عدد القوانين التعسفية فكان أبرزها ما عرف بقانون الأهالي سنة 1881م الذي جعل من الجزائريين عبيدا في بلدهم، ثم تلا هذا القانون مشروع المجالس البلدية سنة 1884م الذي لم يمثل الجزائريون فيه سوى ربع أعضاء هذا المجلس[3].

وما زاد الأمر سوءا هو إقرار الحكومة الفرنسية مع مطلع سنة 1900م قانون فصل ميزانية الجزائر عن الميزانية الفرنسية، وبالتالي تحصل المعمرون على إستقلالهم المالي، وإعتبروه إنجازا كبيرا لهم كونه منحهم السلطة الكاملة على الأهالي، وهذا ما شكل نكبة قاسية على الجزائريين حيث أعطى لفرنسيي الجزائر أكبر فرصة لتطوير صناعتهم وتجارتهم[4]، والظاهر أن الصدمة التي تعرضت لها الجزائر جردتها من جميع ما تراكم لها خلال قرون من تكوينها التاريخي والاجتماعي والجغرافي، بعد مواجهات أحدثت زلزالا زعزع جميع العناصر المكونة لها وشوه مظهرها القديم، وبذلك أصبحت بعيدة كل البعد عن ذلك الإنسجام الذي عرفته، ومنه تكون فرنسا قد أعطت نموذجا لما سيكون عليه مصير البلاد في سياستها الإستعمارية.

2– الأوضاع الثقافية:

مما لاشك فيه أن الوضعية الثقافية لأي مجتمع هي المرآة العاكسة لواقعه السياسي وبنائه الإقتصادي وتركيبه الاجتماعي، والحال ينطبق على الجزائر فبعد دخول الإستعمار الفرنسي سنة 1830م قام بعملية تخريب شملت أبرز المراكز التعليمية والثقافية، كانت الغاية منها تفكيك الثقافة الجزائرية القائمة على المعالم العربية الإسلامية، واستبدالها بالثقافة الفرنسية الغربية التي تخدم المصلحة

[1]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص99.

[2]– عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1870– 1914م، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 1999م، ص64.

[3]– صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، ج1، الزيتونة للنشر والتوزيع والإعلام، الجزائر، 1989، ص 196.

[4]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص89.

الإستعمارية، ولعل أبرزها سياسة التجهيل* التي أُعتمدت من قبل الإستعمار، وتجسدت في تعرض العديد من المدارس إلى الهدم أو التحويل وطرد أو نفي العديد من العلماء[1]، وكان من أهم نتائج هذا الهدم هو تقلص عدد المدارس وبالتالي إرتفاع نسبة الأمية، وكان التعليم يعتمد على الأوقاف** الإسلامية كمصدر له لذلك إستولى الفرنسيون عليها مع هجرة العلماء العاملين الذين كان عددهم 370 عالم في مدينة الجزائر لوحدها سنة 1830م[2].

وفي غمار هذه الحالة السيئة للثقافة فتح المستعمر بابا واحدا للتعليم، ألا وهو المدارس الفرنسية العربية سنة 1850م، ولكن الحلم لم يكتمل للجزائريين بحيث عارض الكولون هذه الفكرة ووقفوا كحائط صد أمام أي تحسين لحالة الثقافة الجزائرية، وهذا ما صرح به الحاكم العام "فلورين تيرمان Feury Tirman" (1881م–1891م) قائلا: "...إن التجربة قد دلت على أن الأهالي الذين أعطيناهم تعليما كاملا سوف يصبحون خصوما لنا..."[3].

ولأجل ذلك أُصدرت عدة مراسيم تمنع فتح المدارس العربية إلاّ بعد الحصول على الرخصة التي تقدمها السلطات الإستعمارية، وقد توصل الكولون في مؤتمر الفلاحين (الكولون 1897م) إلى ضرورة جعل التعليم الأهلي تقنيا "فلاحيا"، وهذا حتى يُلبي حاجاتهم من اليد العاملة الفلاحية[4]، أما حال المكتبات الجزائرية فهي الأخرى تعرضت لعمليات نهب وتخريب، عبرت عن همجية هذا الإحتلال

*– تدمير المؤسسات الثقافية وتشريد المدرسين وتشتيت التلاميذ وتوقيف نشاط الزوايا، وهو ما يوضحه "توكفيل Tocqueville" في تقريره بقوله "...تركنا المدارس تندثر وبعثرنا الحلقات الدراسية، لقد إنطفأت الأنوار من حولنا وتوقف إنتقال رجال الدين، وهذا يعني أننا جعلنا المجتمع الإسلامي أشد بؤسا وأكثر جهلا بكثير مما كان عليه الحال قبل أن يعرفنا..."، ينظر: فرحات عباس، ليل الإستعمار، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005، ص ص 104- 105. وأحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، د ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001، ص140.

[1]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص84- 85.

**– هو تعبير عن إرادة الخير في الإنسان المسلم، وهو مصدر عيش للزوايا والمساجد والمدارس وغيرهما، فهناك من يوقف عقارا من قطعة أرض، وبعضهم كان يوقف عينا أو بئرا أو حقلا، ويكون الوقف تحت إشراف وكيل أو لجنة أو مجلس أو إدارة معينة، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 227.

[2]– أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، ط1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص79.

[3]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص165.

[4]– صالح عوض، المرجع السابق، ص214.

الذي كان يدعي التمدن والتحضر، وهنا برزت السياسة الثقافية الفرنسية التي كانت تهدف إلى تشويه التاريخ والثقافة المحلية وفرض البديل الثقافي الإستعماري لخدمة مصالحها الإستبدادية[1].

3- الأوضاع الدينية:

كان الوضع الديني في الجزائر أثناء النصف الثاني من القرن 19م، أقل مستوى عن باقي الميادين، والهدف هو ضرب ركيزة المجتمع الجزائري، وتم تسجيل إستهتار بالمؤسسات الدينية عكس ما نصت عليه معاهدة الإستسلام، فجاء قرار 08 سبتمبر 1930م بحجز ممتلكات الحبوس والإستيلاء على الأوقاف[2].

أما القضاء في الجزائر فتحول إلى مصيبة وأصبح من أعظم المصائب الإستعمارية التي نكبت بها البلاد[3]، وتقلص عدد المحاكم الشرعية من 184 محكمة إسلامية إلى 61 فقط سنة 1890م، سرعان ما تم إخضاعها سنة 1896م إلى سلطة الوالي العام، بالإضافة إلى سياسة غلق المساجد الكبرى والجوامع والزوايا* حيث حولت إلى كنائس، ثكنات عسكرية، إسطبلات، مستوصفات ومراكز إدارية[4]، وكان أبرزها مسجد كتشاوة** الشهير الذي حول إلى كاتدرائية سنة 1832م، والأمر نفسه بوهران حيث حول مسجد سيدي محمد الهواري إلى مخزن للجيش، وقد كان يتبع كل عملية تحويل مسجد خطابات إستفزازية تمجد دعوة المسيحية وتعلن زوال الإسلام منها[5]، والحال نفسه بالنسبة للزوايا التي كانت تعتبر قطبا من أقطاب الثقافة العربية من جهة، ومركزاً من مراكز المقاومة الشعبية من ناحية أخرى، ولهذا الغرض فقد فرضت عليها السلطة الإستعمارية ضغوطات كبيرة

---

[1]- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص96.

[2]- خديجة بقطاش، أوقاف مدينة الجزائر بعد الإحتلال الفرنسي عام 1830، مجلة الثقافة، ع 62، وزارة الثقافة، الجزائر، 1981، ص77.

[3]- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت، ص138.

*- هي عبارة عن مكان يتخذ للإعتكاف والعبادة والمطالعة، وهي مراكز دينية وثقافية ونوادي اجتماعية وخلايا سياسية يتعلم فيها الناس مبادئ دينهم وتعاليم شريعتهم ويتلقون فيها مختلف العلوم والمعرفة وفيها مراكز لإيواء الطلبة وعابري السبيل. ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص217. ومحمد بلعباس، الوجيز في تاريخ الجزائر، ط1، دار المعاصرة للطبع، الجزائر، د.ت، ص13.

[4]- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط1، دار موفم، الجزائر، 1991، ص140.

**- أول إشارة له سنة 1612م ثم جرى توسيعه على عهد حسن باشا سنة 1794م، بمدينة الجزائر بعد تحرير وهران والمرسى الكبير من الإسبان. ينظر: أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص38.

[5]- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص50.

خاصة ما تعلق بنشاطها التعليمي والاجتماعي، وألزمتها برنامجاً تعليمياً يكاد يخرجها عن نطاق تحفيظ القرآن الكريم دون تفسيره[1].

ولم يكتف المستعمر بتحطيم المؤسسات الدينية بل اِضطر لإضطهاد رجال الدين والعلم، بفرض رقابة شديدة عليهم من جهة، ونفي وتشريد الكثير منهم من جهة أخرى من أجل القيام بسياسة التنصير، حيث أكد "لافيجري Lavigerie"* على ضرورة تنصير أبناء الجزائر ومنه أسس 49 كنيسة (1876م–1878م)، وأبرزها سان جوزيف بباب الوادي[2]، وما زاد الوضع سوءا هو تغلغل البعثات التبشيرية في الجزائر كمحاولة منها توجيه ضربة للإسلام وتشويه صورته، وهذا يوحي إلى محاولة تثبيت الديانة المسيحية، فتصبح الجزائر مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بأنوار مدَنية منبع وحيها الإنجيل، وهذا ما يتنافى مع مبادئ ديننا الإسلامي الحنيف[3].

يمكننا القول مما سبق ذكره أن السلطات الفرنسية الإستعمارية طبقت السياسات القمعية، وإنتهكت كل الحقوق الأساسية من أجل تثبيت القواعد الكولونيالية في البلد، وأدى ذلك إلى هجرة علمائها وأعيانها إلى الخارج وتفقيرها علميا وثقافيا، ولكنها وإلى نهاية القرن التاسع عشر لم تستطع القضاء عليها نهائيا، فكان على علمائها اليقظة والنهوض من أجل اِسترجاع المعالم العربية الإسلامية، ومواصلة مسيرة المقاومة رغم أن المهمة صعبة وجد معقدة وليس من السهل تجاوزها، ولكن في نفس الوقت لا يمكن البقاء تحت أسرها ومواصلة تحمل تبعاتها وأتعابها، وعليه ستظهر بوادر الإنبعاث الثقافي والنشاط التأليفي المركز وستعيش حراكا كبيرا مع مطلع القرن العشرين، وستلعب دورها الذي عرفها التاريخ به، وذلك مرده بروز هيئة علمية إصلاحية اتخذت من القلم مشروعا، تهدف من خلاله إلى تحسين حال وأحوال المجتمع الجزائري بمختلف أشكاله.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص 185.

*– لافيجري: ولد سنة 1825م، نشط منذ شبابه في المجال الكنيسي، عمل في بلاد الشام وتعلم اللغة العربية، جاء إلى الجزائر سنة 1867م، أسس جمعية الآباء البيض والأخوات سنة 1868م، تميز عن سابقيه بالذكاء والمكر وكان الساعد الأيمن للبابا قريقوار الثامن، كان متبعا للدين المسيحي وسعى لتحقيق مشروع التنصير بالجزائر، توفي بتونس في 26 نوفمبر 1892م، ينظر: عبد القادر خليفي، سياسة التنصير في الجزائر، المصادر، ع 09، 2004، ص139.

[2]– يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنيين 19 و 20 م، مجلة الدراسات الإسلامية، ع07، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، جوان 2005، ص 62.

[3]– صالح عوض، المرجع السابق، ج1، ص 208.

المبحث الثالث: مراحل التأليف التاريخي بالجزائر إبان الإحتلال الفرنسي.

تبقى حياة الشعوب والأمم مدينة بالفضل لرجال برزوا وقدموا لها ثمارا تظل تتغذى عليها أجيال فأجيال، رجال تمتد أعمارهم قرونا ويطوي ذكرهم وعلمهم المسافات ويختزل الأزمان، رجال هانت الدنيا في أعينهم وصغرت المشاق عندهم حين قاموا بالغايات المرجوة، وتجلى ذلك من حيث النبوغ العلمي والثقافي، أو من حيث الإسهام الفعال في الحياة السياسية والوطنية[1]، والجزائر إحدى البلدان التي تمتلك من التراث التاريخي والفكري ما يبوئها منزلة مرموقة بين الأمم، الأمر الذي يفرض على الجزائر البحث والتنقيب عن ذاكرتها الجماعية بكل الوسائل المتاحة[2].

ذلك أن الجزائر عاشت خلال القرون السابقة زاخرة بنشاط سياسي فعال وبحركة عمرانية متواصلة، كما كانت تعتز بزعامتها السياسية التي تسلمت مقاليدها من "الأتراك" أوائل القرن 16م، وكانت قبلة علم ومحطة تشد إليها الرحال من العلماء[3]، فمنهم من نشأ بها، ومنهم من هاجر إليها، ولعل أبرز من وصف النهضة العلمية فيها هو الرحالة المغربي "الجامعي" في القرن الثامن عشر للميلاد بقوله: "...هذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء وأعلام خطباء..."[4]، ومن أبرزهم عبد الرزاق محمد بن حمادوش* الذي كان متصوفا، وعالما فريدا من نوعه في عصره وتعد رحلته من المخطوطات النادرة عن الجزائر، والمغرب في القرن 18م فاِهتم المسلمون كثيرا برحلته والأوربيون بعلمه[5].

---

[1] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تح. خير الدين شترة، ج1 ، ط2، دار كردادة ، الجزائر، 2013، ص17.

[2] – مسمعي محمد، دور أعلام منطقة أم البواقي في الحركة الإصلاحية والثورة التحريرية 1900– 1962م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، إشراف شايب قدادرة، جامعة منتوري قسنطينة، 2009 – 2010، ص05.

[3] – شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر 1510– 1541م، تر. جمال حمادنة، ط1، الجزائر، 2007، ص05.

[4] – حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية "مدن الوسط"، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص59.

* – ولد بمدينة الجزائر 1695م، تتلمذ على يد مشايخ عصره كابن عمار، زار العديد من بلدان العالم الإسلامي، خاصة المغرب الأقصى، من أهم مؤلفاته "كشف الرموز في شرح العقاقير الأعشاب" ، "تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج" " الجوهر المكنون في الطب". ينظر: عبد القادر بكاري، عبد الرزاق إبن حمادوش والكتابة التاريخيةمن خلال رحلته لسان المقال، مجلة عصور الجديدة، مج7، ع26، 2016-2017، ص237.

[5] – عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، ط2، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص ص 185-186.

وما إن وطأت أقدام الإستعمار الفرنسي أرض الجزائر سنة 1830م، حتى اِرتكزت السياسة الإستعمارية على الغزو العلمي والفكري، وفي هذا الشأن يقول "الدوق دومال Duc d'Aumale"*: "...لقد اِرتكزنا في الجزائر واِستولينا على المعاهد العلمية وحولناها إلى دكاكين وثكنات ومَرابط للخيل، واِستولينا على أوقاف المساجد والمعاهد وبذلك قضينا على العربية..."[1] ، كما كان الفرنسيون يعتبرون كل وثيقة بخط عربي قرآناً فأمروا بالحرق الشامل، وتم تحويل الأرشيف إلى رماد وتحويل المدارس والدُور إلى مؤسسات عمومية[2].

لذا سعت الإدارة الفرنسية إلى تشويه التاريخ والثقافة المحلية وفرض البديل الثقافي لخدمة المصالح الإستعمارية، فأصبحت العربية أجنبية في عقر دارها وهذا ما يؤكده المصري محمد فريد بك بقوله: "...لو اِستمرت الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل العربية في جميع المعاملات..."[3]، ومحاصرة المدارس العربية بالقوانين أهمها قانون 1904/12/26م، فإنه يحظر على كل جزائري أن يفتح أو يتولى إدارة مدرسة عربية، أو كتاتيب لتعليم القران الكريم إلا بترخيص من الإدارة الفرنسية[4]، ونظرا لهذه الأحداث التي مرت بها الجزائر في النصف الثاني من القرن 19م، يمكن القول أن حركة التأليف التاريخي خلال الفترة الإستعمارية الفرنسية قد مرت بمرحلتين أساسيتين:

أما الأولى فتبدأ منذ الإحتلال وتوقيع معاهدة الإستسلام في 05 جويلية 1830م، وتنتهي مع أواخر القرن 19م، وتبدأ الثانية من مطلع القرن العشرين إلى قيام الثــورة الجزائريــة سنة 1954م.

* – الدوق دومال: ابن الملك لويس فيليب من مواليد جانفي 1822م بباريس، عمل في الجزائر كضابط في الجيش الفرنسي سنة 1840م وقام على رأس حملة عسكرية بمهاجمة عاصمة الأمير عبد القادر "الزمالة" في 16 ماي 1843م، ليعين بعدها كقائد عسكري بمنطقة قسنطينة في نوفمبر 1843م ثم حاكما عاما للجزائر في 11 سبتمبر 1847م وبذلك سيشهد نهاية مقاومة الأمير، ينظر: بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830–1962م وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، 2010، ص 130.

[1] – المرجع نفسه، ص 130.

[2] – أنيسة بركات، المرجع السابق، ص ص 79- 80.

[3] – ناصر الدين سعيدوني، منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص73.

[4] – عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص97.

1– المرحلة الأولى (1830م – 1900م):

بينما ركز المصلحون في المرحلة الأولى على تنبيه الناس إلى خطر الأمية، والجهل، والبدعة والخرافة، والعصبية القبلية والتفرقة بين الناس، ولم يلِجوا إلى عمق المسألة التي كانت تتطلب عملا جديا في الميدان بسبب قلة المتعلمين والمثقفين عموما، والهيمنة الإستعمارية التامة على كل مقدرات البلاد ومصائر العباد، بل ولم يتمكن المصلحون الأوائل من نقل أساليب عملهم من الحواضر الكبرى إلى باقي مناطق الوطن الأخرى إلا عرضا، مثل مناطق الجنوب البعيدة والمناطق القريبة من الحدود التونسية[1].

وقد عكف بعض الجزائريين خلال هذه المرحلة الحرجة من التاريخ الجزائري على تدوين تاريخ بلادهم لأسباب شتى، فظهرت كتابات كثيرة في هذا المجال، وإن كانت تتفاوت في الأهمية التاريخية والقيمة العلمية، ولكنها كتابات عبرت عن تصورات كُتابها، وآرائهم، وهي مصادر محلية لا يمكن الإستغناء عنها بحجة عدم خضوعها لمنهج البحث الأكاديمي[2]، ونشير في هذا المجال إلى أن الكتابات التاريخية الجزائرية تعرضت منذ ظهورها لحملات من التشويه والمسخ الإستعماري من قبل الكُتاب الفرنسيين خلال النصف الثاني من القرن 19م، ويرجع ذلك إلى مزاعم الكتاب الغربيين والفرنسيين الذين قاموا بدعاية مشوهة لهوية وأصالة المنطقة المغاربية، وخاصة ما قام به "لويس برتران Louis Bertrand" عضو المجمع العلمي الفرنسي أنذاك الذي أراد إثبات لاتينية بلاد المغرب، بالإضافة إلى ما لعبه "قوتيه Gautier وقزال Gsell " بجمع أُطروحات خيالية مبنية على الوهم والمتمثلة في كون الجزائر بلدا تابعا لفرنسا بالفطرة[3]، وهذا ما ساهم في عزوف الجزائريين عن الكتابة التاريخية، ويرجع هذا الإبتعاد عن الكتابة إلى أسباب منها:

– السيطرة على التاريخ الوطني ومحاولة طمسه بشتى الطرق.

[1] – مسمعي محمد، المرجع السابق، ص06.

[2] – أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص12.

[3] – أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، دار هومة، الجزائر، 2007، ص111.

– إنعدام القاعدة التعليمية بسبب تأثير الإدارة الإستعمارية وإستحداث ما يعرف بمدارس الأهالي التي تفصل بين التعليم العربي والفرنسي.

– زوال المكتبات الجزائرية[1] بسبب النهب والسلب وحرق أغلبها، وقد عبر عن ذلك "بروجر Broger" بقوله: "...كان لكل جندي قرانه..."، ووصفها الرحالة المصري محمد بك بقوله: "...هجرت ربوع العلم وخُربت دور الكتب وصارت الديار مرتعا للجهل..."[2].

1-1- المؤلف الجزائري وكتابة التاريخ بداية الإحتلال الفرنسي:

نظرا لوجود هذه المضايقات والأشكال الإستعمارية سعت جهود المؤرخين والكُتاب الجزائريين إلى استخدام التأليف كوسيلة لنشر الأفكار السياسية، ومحاولة إبراز الوعي الفكري لدى عامة الناس ولعل أبرزهم:

1-1-1- حمدان بن عثمان خوجة وكتابه "المرآة":

ينتمي حمدان بن عثمان خوجة إلى عائلة جزائرية عريقة، حيث كان أبوه عثمان فقيها مدرسا ومقربا إلى السلطة الحاكمة بالجزائر، أما خاله الحاج محمد فكان أمينا للسكة قبل الإحتلال الفرنسي[3]، ولد حمدان حسب سعد الله سنة 1773م[4]، وتلقى تعليمه الأول عن أبيه الذي حفظ على يده القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية، وواصل حمدان تعليمه في المؤسسات العلمية القائمة في الجزائر خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وأتقن عدة لغات منها الفرنسية، والتركية، والإنجليزية[5].

بعد الإحتلال شغل حمدان خوجة منصبا في البلدية، وفيها حافظ على ما تبقى للجزائريين من ممتلكات، وقد عُرف حمدان بأفكاره السياسية، وإستيعابه للتطورات الاجتماعية التي كانت تعيشها

[1] – كمال بن صحراوي، الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الإستعمارية القرن 19م أنموذجا، أعمال الندوة الوطنية حول تاريخ الجزائر الثقافي، جامعة ابن خلدون تيارت، 13 فبراير 2018، ص01.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص73.

[3] – محمد الطيب عقاب، حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، ط1، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1982، ص20.

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 29.

[5] –محمد بن عبد الكريم الجزائري، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، دار الثقافة، بيروت، 1970، ص 139.

الشعوب الأوربية، ألَّف حمدان عددا من الكتب التي تعتبر من المصادر الأساسية لدراسة الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر، والفترة الأولى من الإحتلال الفرنسي والتي تعطينا صورة واضحة عن مستوى الفكر في العالم الإسلامي، منها كتاب المرآة وهو العمل الذي إشتهر به حمدان خوجة وصُنف به ممن أثروا التراث التاريخي للجزائر[1]، وكان تأليفه سنة 1833م وهو من أوائل الكتب التي صدرت بعد الإحتلال وتناولت أحداثه، وقد بذر بذور الوطنية وبشّر بالتضامن الإسلامي للتحرر[2].

1-1-2- أحمد بن القاضي وكتابه "الدوابر والزمالة وحركاتهم":

هو الأغا أحمد بن قاضي أو (القادي) باشاغا فرندة، كان موظفا بالإدارة الفرنسية عن جهة فرندة وجنوبها، وحسب المزاري فإن ابن القاضي ساهم مع الزمالة والدوابر في حربها ضد الأمير عبد القادر*، ومن خلال كتاب الدوابر والزمالة وحركاتهم الذي طبع سنة 1883م بوهران، نجد أن هناك تذكير للفرنسيين بدور هذه القبائل في دعم فرنسا، وهي لم تعد تحظى بالمكانة اللائقة بها خصوصا بعد صدور بعض القوانين التعسفية في حق الشعب الجزائري، مثل القانون المشيخي سيناتوس كونسيلت "Loi Sénatus Consulte" 1863م، وتطرق في هذا الكتاب إلى القبائل ودورها منذ الإحتلال بإعتبارها من القبائل المخزنية ذات النفوذ، ومنه يُذكر الفرسيين بهذا الدور كون هذه القبائل كانت السباقة إلى خدمة فرنسا والمشاركة في حربها ضد الأمير، وكان لابن القاضي مؤَلَّف آخر وهو "الرحلة القادية في مدح فرنسا وتبصير أهل البادية" والذي كتب في 1878م[3].

1-1-3- أحمد الشقراني وكتابه "القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط":

يعتبر أحمد بن عبد الرحمن الشقراني من المؤلفين الذين جاءت مواقفهم ضد الثورات الشعبية، وتجلى ذلك من خلال كتابه الصغير الحجم الذي ألفه منتصف ثمانينات القرن 19م، من أهم

---

[1] – محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص50.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص396.

* – هو عبد القادر ناصر الدين ابن محي الدين، ولد في شهر ماي 1807م في قرية القيطنة على ضفة واد الحمام في منطقة غريس التي تقع في إقليم وهران في الجزائر، يعتبر الأمير من كبار رجال الدولة الجزائريين في التاريخ المعاصر، فهو مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورائد مقاومتها ضد الإستعمار بين 1832م و1847م، ينظر: شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر.تع، أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص39.

[3] – كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص02.

مضامينه الوقوف ضد ثورة بوعمامة، لكنه لم يبد رفضه لثورة الأمير عبد القادر، كما لم يخف إعجابه بالفرنسيين، ويستغرب في المقابل من أناس بسطاء يتمنون الإنتصار على فرنسا، وهذا أمر مستحيل في نظره، كما ينكر الشقراني على فرنسا معاملتها للناس معاملة واحدة، وبهذا توحي أفكاره إلى القوانين التي إستُحدِثت آنذاك وعلى رأسها قانون الأهالي "الأنديجينيا* L'indigénat" الذي صدر سنة 1881م والذي تمخض عنه إجراء العقوبات الجماعية[1].

1-2- ظهور المطابع:

من أبرز مظاهر هذه المرحلة التاريخية التي عرفتها حركة التأليف التاريخي هو ظهور الطباعة والتي لعبت دورا بارزا وكبيرا في طبع الكتب والمؤلفات التاريخية التي كان لها إمكانية الوصول إلى أبعد نقطة من القطر الجزائري، وتصل إلى أغلب أفراد المجتمع وتساهم في توعيته، ومن أبرز المطابع خلال هذه الفترة نذكر:

1-2-1- مطبعة فونتانة: تأسست في مدينة الجزائر سنة 1895م من طرف الفرنسي بيير فونتانا "Pierre Fontana" وقد ساهمت في طبع العديد من الكتب والمؤلفات، و بلغ عدد الكتب المطبوعة بها في الفترة ما بين (1895م -1912م) أكثر من ثلاثين كتابا باللغتين العربية والفرنسية، ومن بين الكتب التي طبعت فيها: "الإكتراث في حقوق الإناث" لمحمد بن خوجة سنة 1897م، وكتاب "اللمع على نظم البدع" وهو شرح للعلامة عبد القادر المجاوي، وكتاب "تعريف الخلف برجال السلف" للحفناوي سنة (1906م– 1907م)[2].

1-2-2- مطبعة الثعالبية: تأسست على يد الأخوان رودسي (أحمد – قدور)** التركيان بمدينة الجزائر سنة 1896م، وقامت هذه المطبعة بطبع العديد من المؤلفات القيمة من تراث الجزائر

*– مجموعة نصوص وإجراءات إستثنائية سنّها ووظّفها المسؤولون الفرنسيون ضد الجزائريين الذين يشكون في ولائهم ولا يرتاحون لتصرفاتهم، لم يشرع دفعة واحدة وإنما بدأ العمل به سنة 1871م ثم أضيفت له بنود مع ثورة 1881م، وقد ظل هو القانون الفرنسي للجزائر لأكثر من خمسين سنة، منذ مجيئ الجمهوريات بعد 1870م. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص314.

[1]– كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص02.

[2]– سعد الدين بن أبي شنب، النهضة العربية بالجزائر من الق01 إلى الق14هـ، مجلة كلية الآداب، ع01، جامعة الجزائر، السنة الأولى، 1964م، ص42.

**– الأخوان رودسي (أحمد وقدور) هما ابنا مراد تركي الذي سمي على اسم الجزيرة التي ولد بها أبوه وهي جزيرة رودس.

القديم نذكر منها: "الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لأبي العباس الغبريني"* سنة 1910م وكتاب "البستان "لابن مريم"** سنة 1909م[1].

ومن خلال جملة ما قلناه يمكن القول أن الطباعة كان لها دور فعال في نشر وتوسيع دائرة الوعي الثقافي داخل المجتمع الجزائري، كما ساهمت في المحافظة على العديد من المعلومات والتاريخ من الضياع، والظاهر أن الصدمة التي تعرضت لها الجزائر جردتها من جميع ما تراكم لها خلال قرون من تكوينها التاريخي، الاجتماعي والجغرافي، بعد صدامات ومواجهات أحدثت زلزالا زعزع جميع العناصر المكونة لها، وشوه مظهرها التأليفي القديم، وهذا ما نجده في قول محمد فريد بك عندما زار الجزائر "...يعامل المسلمون في الجزائر بقوانين مخصوصة في غاية الشدة والصرامة، فهم محرومون من حرية الكتابة وحرية الإجتماع، بل من حرية السفر والإنتقال وحرية مطالعة الكتب والجرائد..."[2].

2– المرحلة الثانية (1900م - 1954 م):

هي إنطلاق لحركة إصلاحية كبرى قادها رجال كان لهم من العلم والعمل، والإخلاص والشجاعة الأدبية، والسياسية ما لم يكن لغيرهم، فوازنــوا بين القول والعمل وأصبح التفكير في التعليم حقيقة واقعة، والأمل في التأليف والكتابة وبناء المدارس والمساجد والنوادي عملا ميدانيا أكيدا، فإمتد تفكير ونشاط الرواد الكبار إلى مختلف أنحاء القطر الجزائري، وأصبحت كل منطقة تتوق إلى الإستفادة من هذه الحركة الميدانية الجديدة، التي لطالما إنتظرها الشعب الجزائري بشغف كبير لعله يشفي غليله من تلك المعارف والعلوم الجديدة، التي أصبح إشعاعها يلوح من قسنطينة، وسطيف والجزائر وتلمسان والأغواط ووادي ميزاب إلى كافة ربوع الوطن[3].

---

*– هو أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني ، وكنيته أبو العباس، نسبة إلى بني غبري من قبائل الأمازيغ في المغرب الأوسط ميلاده حوالي سنة 1246م، وتوفي حوالي 1315م لإصابته بالطاعون بإجماع أغلب المؤرخين، ينظر: أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح. تع، عادل نويهض، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979، ص– ص09-14.

**– محمد بن محمد بن أحمد الملقب بإبن مريم أبو عبد الله الشريف المليتي ولد ونشأ بتلمسان وتوفي بها. ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص292.

[1]– بن عدة عبد المجيد، مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي للرواد المصلحين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993م، ص155.

[2]– بن عدة عبد المجيد، المرجع السابق، ص 157.

[3]– أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص17.

2-1- مؤلفوا مرحلة النهضة الجزائرية:

وفي هذا التطور الثقافي والفكري الذي حرك الهمم، وزعزع الجمود وفتح العقول وألهب المشاعر بحب العلم والدين النقي من البدع والخرافات والشعوذة والدجل، نشأ وترعرع مجموعة من المصلحين كان لهم الدور الكبير في البناء الوطني والفكري والثقافي والسياسي مستلهمين رؤاهم وتصوراتهم من المنبع الأصيل للحركة الإصلاحية الرائدة من مطلع القرن العشرين[1] ونذكر منهم:

2-1-1- السعيد بن زكري وكتابه "أوضح الدلائل على وجوب الزوايا في بلاد القبائل":

ولد بن زكري سنة 1851م بمنطقة زواوة، وحفظ القرآن الكريم بها، ثم إنتقل إلى مدينة الجزائر حيث عكف على التعليم والإرشاد والإفتاء، ويعتبر السعيد بن زكري من المشايخ الذين تكونت على أيديهم النخبة العلمية المثقفة، حيث كان – فريد دهره ووحيد زمانه – حافظا للحديث إماما في العلم والتوحيد والفقه على المذهب المالكي[2]، وسعى إلى إدخال إصلاحات في البرامج التعليمية للمؤسسات التربوية التقليدية "الزوايا"، وألف لذلك كتابا باسم "أوضح الدلائل على وجوب الزوايا في بلاد القبائل" طبع هذا الكتاب بمطبعة فونتانة بمدينة الجزائر سنة 1903م في127 صفحة، يحتوي على مقدمة وأربع فصول وخاتمة، أظهر من خلاله عيوب ومساوئ التدريس، واجتهد في تأليفه هذا لإعطاء التحسينات الضرورية التي يجب إدخالها على هذا التعليم حتى يصبح مسايرا ومتوافقا مع أساليب التعليم العصري[3].

2-1-2- عبد الحليم بن سماية (1866م-1933م) وكتابه "فلسفة الإسلام":

يعتبر عبد الحليم علي بن عبد الرحمن بن حسين خوجة علم من أعلام الجزائر، ومن أوائل المصلحين الجزائريين، ولد بمدينة الجزائر سنة 1866م، كان أحد المثقفين الذين كرسوا حياتهم لخدمة العلم والتعليم، واستهل حياته الحافلة بالنشاطات معلما فكان ينشر أفكاره بين الطلبة، شأنه شأن

[1] – مسمعي محمد، المرجع السابق، ص06.

[2] – سعد الدين بن أبي شنب، المرجع السابق، ص47.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج7، ص163.

الأساتذة المصلحين في هذه الفترة كعبد القادر المجاوي[1]، ولم يقتصر نشاطه في ميدان التعليم فقط بل تعداه إلى التأليف، وتجلى ذلك من خلال كتاب "فلسفة الإسلام"[2]، وقدم بحثا تحت عنوان "الحضارة الإسلامية والفلسفة"، ومن آثاره كذلك رسالة طبعت سنة 1911م هي "إهتزار الأطواد والربا في مسألة تحريم الربا" ونشر كتابا آخر سنة 1913م بعنوان "الكنز المكنون" وقد إعْتُبر كتاب "فلسفة الإسلام" من أهم المؤلفات، يهدف إلى أن أصل الحضارة العربية الإسلامية هو الدين العام الذي يناسب سائر الأمم[3].

2-1-3- محمد بن أبي شنب (1869م - 1929م) "فهرست الكتب المخطوطة":

ولد محمد بن العربي بن أبي شنب يوم الثلاثاء 26 أكتوبر 1869م بمنطقة عين الذهب قرب المدية[4]، تلقى الابن العناية الكافية والرعاية الشاملة داخل أسرته فحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وبعد سنين من عمره في 19 جوان 1894م إجتاز إمتحان بجامعة الجزائر أين تحصل على شهادة في اللغة العربية، وعين في سنة 1898م أستاذا بالمدرسة الكتانية* بقسنطينة، وفي سنة 1908م أسندت إليه مهمة تدريس صحيح الإمام البخاري بجامع سفير** بمدينة الجزائر، ثم إرتقى إلى محاضر بالجامعة بعد نيله لشهادة الدكتوراه في الآداب بدرجة ممتاز[5]، وإلى جانب أعماله في المجال التربوي نجد له أعمال جليلة في مجال التأليف والإحياء التاريخي نذكر منها:

– كتاب ضخم في الأمثال العامية السائدة بالمغرب العربي، شرحها بالفرنسية في ثلاثة أجزاء وتتكون من 3127 مثلا، طبع بباريس سنة 1907م .

– فهرست الكتب المخطوطة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر 1909م .

---

[1] – مولود عويمر، ذكرى الشيخ عبد الحليم بن سماية، جريدة البصائر، ع531، 23 جانفي 2011، ص19.

[2] – محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص106.

[3] – مولود عويمر، المرجع السابق، ص19.

[4] – بوشنافي محمد، الكتابة التاريخية في الجزائر العهد العثماني نموذجا، مجلة العصور الجديدة، ع03 - 04، وهران، 2011 -2012، ص148.

* – المدرسة الكتانية: هي مدرسة أسسها صالح باي عام 1778م بقسنطينة وكان لها دور كبير في نشر العلم والمعرفة بالمنطقة ينظر: أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص62.

**– بني سنة 1534م ويرجع أصل بنائه إلى إحسان عبد الله صفر الذي أعتقه خير الدين بربروس بعد إعتناقه الإسلام، وتحول اسمه إلى سفير، ينظر: أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص62.

[5] – عبد الرحمن الجلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1981، ص– ص 14- 16.

– طبقات علماء إفريقية لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي 1915م .

يبدو أن تفرغ العلامة محمد بن أبي شنب للتدريس والتأليف وتحقيق التراث والإنتاج العلمي ساهم بشكل كبير في إعادة بعث الأمة الجزائرية، وتأكيد وجودها فتعدى بذلك خطوة مهمة في مسار النشاط السياسي والنهضة الجزائرية الحديثة[1].

2-2- الحركة الإصلاحية وفكرة الجامعة الاسلامية:

إن روح التغير والإصلاح والإنبعاث الثقافي يعتبر بمثابة التعبير الصادق عن الحاجات الملحة لأي مجتمع من جوانبه المختلفة، وهو ما جعل حركة التأليف بمثابة مشروع مجتمع تقوم على إحياء القيم الحضارية حتى تصبح ضرورة تاريخية، بل هي في الحقيقة ظاهرة نبيلة تسعى لتجاوز الواقع المأساوي لأي شعب من الشعوب[2]، من أبرز المظاهر التي عجلت بإحياء النشاط التأليفي خلال المرحلة الثانية من الإحتلال الفرنسي للجزائر هي بوادر النهضة العربية، ونذكر في مقدمتها أفكار الجامعة الإسلامية*، التي دعمت بوادر اليقظة الجزائريـة، وأجمعت على حركة التغيير وخدمة العقـل.

كما دعت إلى تضامن المسلميـن وتوحيدهم في وجه التوسع الإستعماري، وقد عكف جمال الدين الأفغاني** مؤسس جريدة العروة الوثقى*** على وضع أسس مشروع حضاري متميز يهدف من خلاله إلى تحقيق التمايز الحضاري عن الغرب، وبالتالي سعى إلى معالجة مشكل الإصلاح من الزاوية السياسية[3]، وهذا ما فجر الطاقات الشبانية الجزائرية وجعلها تأخذ بفكرة الجامعة الإسلامية

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص– ص 159- 162.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 210.

*– الجامعة الإسلامية: هي حركة تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوربي كما تقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي. ينظر: مولود عويمر، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2007، ص20.

**– جمال الدين الأفغاني 1839-1897م: رجل سياسي أفغاني الأصل، أحد العلماء المسلمين الداعين إلى الإصلاح والتجديد وهو الذي جاء بفكرة الجامعة الإسلامية وأحد مؤسسي جريدة العروة الوثقى، ينظر: محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني موقض الشرق وفيلسوف الإسلام، ط1، دار الشروق، د ت، ص87.

***– العروة الوثقى: هي جريدة سياسية وأدبية كانت تصدر أسبوعيا كل يوم خميس، صدر منها 18 عددا فقط في 1884م بباريس وتوقفت في 1887م. ينظر: جمال الدين الافغاني، العروة الوثقى، ط3، دار الكتاب المغربي، بيروت، لبنان، 1983،ص85.

[3]– المهدي البوعبدلي، دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين، الأصالة، ع 44، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1977، ص66. ينظر: جمال الدين الأفغاني، العروة الوثقى، ط3، دار الكتاب المغربي، بيروت، لبنان، 1983، ص85.

من أجل النهوض السياسي، وتجلى ذلك في لغة القلم التي أحيت النفوس، وبذرت بذور الإصلاح في العقول من أجل إحياء المعركة السياسية مع الغرب الإستعماري[1].

كان لزيارة محمد عبده* إلى الجزائر سنة 1903م، أثر كبير على الكثير من الشخصيات مثل عبد القادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية وأبو القاسم الحفناوي[2]، ويعود هذا التأثير إلى رغبة محمد عبده في إصلاح أحوال المسلمين بشمال إفريقيا، خاصة مسلمي تونس والجزائر، حيث كان يسعى إلى الإصلاح التربوي والاجتماعي المقرون بالإصلاح السياسي، وتجلى ذلك بقوله "الأحزاب السياسية في الشرق هي نعم الدواء"[3]، ومن خلال ما سبق يمكن القول أن أفكار محمد عبده توحي إلى الإصلاح العام والعمل على إحياء النفوس، وكسر القيود والتخلص من الجمود والخمول الذي عاشه الجزائريون إبان الإحتلال، وبعث في نفوس العلماء شعلة التفكير بالنهوض الفكري وإحياء النضال السياسي، وتلخص ذلك في مجمل المؤلفات والكتب التي إستطاعوا أن ينشروها ويعبروا بها عن حركة إصلاحية جديدة مفادها الوقوف ضد المد الإستعماري الغاشم.

[1] – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر. عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، 1970، ص54.

*– محمد عبده: هو المصلح المصري الكبير ولد بقرية محلة نصر سنة 1849م، تلقى تعليما أزهريا، تغير مجرى حياته عندما إلتقى بجمال الدين الأفغاني سنة 1871م، وأصبح أقرب حلفائه في حركته الإصلاحية وتيار الجامعة الإسلامية، إنخرط في العمل السياسي بباريس وعين رئيسا لتحرير مجلة العروة الوثقى. ينظر: أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، الأنيس للنشر، الجزائر، 1990، ص357.

[2] – محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ج1، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1931، ص– ص 874 - 879.

[3] – محمد الطهاوي، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ط3، دار الأمة، الجزائر، 1999م، ص 153.

الفصل الأول

المؤلف الجزائري ودوره في ميلاد الوعي السياسي.

المبحث الأول: شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي (1914م- 1848م) وكتابه "إرشاد المتعلمين".

المبحث الثاني: محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري (1840م-1913م) وكتابه "تحفة الزائر".

المبحث الثالث: الشيخ الحفناوي (1850م-1942م) وكتابه "تعريف الخلف برجال السلف" .

تمهيد:

لقد هيمن الإتجاه الوضعي الإستعماري على الحقل المعرفي الخاص بتاريخ بلاد المغرب، وكرد فعل ظهرت مجموعة من الكتابات الظرفية ساهمت إلى حد كبير في الحد من الإنهيار الفكري، والحفاظ على إستقلالية ماضي بلاد المغرب عن الإمبراطورية الإستعمارية الفرنسية، وحاولت هذه الكتابات مسايرة الوعي الوطني الذي تبلور بصورة جلية في الربع الأول من القرن العشرين ميلادي، وإزداد الوضع توترا بإقتراب إحتفال السلطات الإستعمارية بمئوية إحتلال الجزائر، ومواكبتها لظهور كتابات ممهدة للحدث خصوصا كتاب "أسلمة إفريقيا الشمالية"، "القرون المظلمة للمغرب" لـ"قوتيه Gautie"، وكتاب "بلاد البربر الإسلامي والمشرق في العصر الوسيط" لجورج مارسي " Georges Marçais" سنة 1927م، وقد حاول بعض أقطاب الجيل الجزائري الذي عاش في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي والنصف الأول من القرن العشرين، التعريف بماضي المنطقة من خلال نشر نصوص تاريخية تراثية لمؤلفين جزائريين عاشوا في الفترتين الوسيطة والعثمانية، ويعتبر المجاوي والحفناوي من أهم من مثل هذا الإتجاه، فما هو البعد السياسي في كتاباتهم التاريخية للمجتمع الجزائري؟

المبحث الأول: شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي وكتابه "إرشاد المتعلمين":

يعد عبد القادر المجاوي علم من أعلام الجزائر الذين كانت لهم بصمات في الحياة الثقافية، وتأثيرات عميقة في بعث الحركة الإصلاحية في الجزائر أوائل القرن العشرين، ورمز من رموز الصمود أمام الإستعمار الفرنسي، ويشكل مع مجموعة من العلماء المصلحين الذين كان لهم الفضل الكبير في شق الدرب الذي سار عليه زعماء الحركة الوطنية وعليه: من يكون عبد القادر المجاوي؟ وما نسبه؟ وفيما تجلت جهوده الإصلاحية ونشاطاته الفكرية؟ وما هي أهم تأثيرات وإنعكاسات أعماله على المسار السياسي النضالي؟

1- سيرته الذاتية (1848م- 1914م):

هو الشيخ عبد القادر بن أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن عبد الرحمن المجاوي نسبة لقبيلة مجاوة* ولد بتلمسان عام 1266هـ-1848م من أسرة تلمسانية عريقة**، نشأ نشأة علمية بها فتلقى دروسه الأولى وعلى رأسها حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم تابع مساره الدراسي متنقلا بين المدن المغربية (تيطوان، طنجة، وفاس) وغيرها، في فترة التحصيل العلمي ما بين سنتي (1855م - 1868م)، ولعل سبب هجرة عائلته للمغرب راجع إلى السياسة الإستعمارية التي طبقتها فرنسا على الجزائريين في ميدان التعليم*** والقضاء**** [1].

*- قبيلة مجاوة: هي قبيلة تتمركز في الشمال الغربي للمغرب الأقصى، إستوطنت الجهة الغربية من المنطقة الحدودية الجزائرية المغربية وتحديدا تلمسان. ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1983، ص287.

**- ساهمت عائلته في نشر العلم وممارسة القضاء، حيث كان جده من العلماء الصالحين ووالده الشيخ أبو عبد الله محمد المجاوي الحسني عين قاضي هناك بمدينة طنجة، كما تولى القضاء لمدة 25سنة بتلمسان، وتخرج على يده علماء كثر. ينظر: أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص446.

***- إكتفت فرنسا بإستحداث مدارس إسلامية رسمية لتخريج عدد قليل من المسلمين المتعلمين، من أجل خلق مجموعة صغيرة تلعب دور الوسيط بينهما، وبعدما فشلت في مهمتها أغلقت هذه المدارس ليحل محلها نظام جديد مبني على التمييز العنصري، وعلى فصل تعليم العرب عن الأوربيين من حيث المؤسسات والبرامج وسميت المدارس الخاصة بالأهالي بمدارس الأكواخ، وهي ذات برامج تعليمية أولية وتطبيقية تتناسب مضمونا مع إحتياجات المستعمر. ينظر: عبد القادر حلوش، السياسة التعليمية في الجزائر، المرجع السابق، ص49.

****- تعرض القضاء الإسلامي إلى حملة متواصلة من الدوائر الإستعمارية أواخر القرن 19م وبالتالي ضرب الجزائريين في أقدس مقدساتهم، ويصف توفيق المدني مرارة ذلك بقوله "...هل يعلم عربي في دنيا العروبة أن القضاء في قطر الجزائر العربي المسلم كله، أصبح مصيبة من أعظم المصائب الإستعمارية التي نكبت بالبلاد..."، ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 138.

[1]- حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص ص12-13.

ومن شيوخه نجد الفقيه محمد العلوي الفاسي، والشيخ محمد قنون والعلامة محمد بن سودة، ومحمد بن جعفر الكتاني، وبعد إنتهاء دراسته قصد البيت الحرام لأداء فريضة الحج، ويكون قد أثار إنتباهه الحراك الثقافي والإصلاحي بالمشرق العربي، وثراء الحياة الأدبية هناك فعاد إلى بلاده وكله عزم وأمل للمساهمة في نهضة وطنه[1].

وإستقر الشيخ بعدها بقسنطينة سنة 1869م ودرس في مساجدها فأصبح مشهورا وحج إليه الطلبة من كل مكان ليتعلموا من دروسه وعلومه خاصة سنة 1877م، بعدما تولى التدريس في المدرسة الكتانية ومن أشهر تلامذته حمدان لونيسي ومولود بن موهوب والسعيد بن زكري[2]، وقد حضر مجالسه ودروسه المصلح الشيخ إبراهيم الطفيش في عام 1910م، والذي أشاد به كثيرا ويذكر الأستاذ محمد علي دبوز أن الشيخ القطب الطفيش قد أرسل عددا من طلبته النجباء في ميزاب للدراسة على يد الشيخ المجاوي، وأصبحوا فيما بعد رموز الإصلاح الإباضي [3].

2- جهوده الإصلاحية ونشاطه السياسي:

انتقل الشيخ المجاوي إلى الجزائر من أجل التدريس بالمدرسة الثعالبية* بطلب من الإدارة الإستعمارية، وواصل نشاطه بها حيث ساهم في تدعيم الجو الثقافي بها، بحيث كانت مدينة الجزائر في هذه الفترة تعاني من الجهل وآثاره والفساد المنتشر بها بدرجة كبيرة، فكان عليه مضاعفة جهوده الإصلاحية فاِهتم بالتربية الدينية والخلقية وغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس تلامذته[4]، كما أثر في الحياة الثقافية في مدينة الجزائر عن طريق المؤسسات والنوادي والجمعيات، فإزداد نشاطه وإشعاعه في مجال الإصلاح والتربية، فدرّس طلبة القسم العالي "الدراسات العليا" وإستطاع أن يقيم

[1] – عمر بن قينة، عبد القادر المجاوي حياته وآثاره، مجلة الثقافة، ع48، ديسمبر 1978، ص 114.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص154.

[3] – محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج1، ص88.

*– المدرسة الثعالبية: إفتتحها الحاكم العام للجزائر جونار بالقرب من الولي عبد الرحمن الثعالبي وسميت نسبة إليه، وقد هدمها الإستعمار سنة 1870م. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ج01، ص123.

[4] – محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر (1921-1975)،ج3، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1978، ص53.

توازنا خفيا في المدرسة ضد التيار الإستشراقي الضارب بقوة فيها، والمدعم من الإدارة الإستعمارية بحكم القرب من دوائر السلطة الحاكمة في مدينة الجزائر[1].

والظاهر أن حرص الشيخ على إبراز قيمة العلم في حياة المسلمين تؤكد حقيقة عمق ثقافته وشموليتها، وإنفتاحه على علوم عصره ودعوته للتعلم والإستفادة من منطق الحكمة، وهنا تبرز شخصيته كمربي في هذا المجال، فحاول أن يعطي منهجا للتربية، وخصص جزءا من إهتماماته بالناحية الإقتصادية، وحث الجزائريين على تقليد الغربيين فيما توصلوا إليه في هذا المجال والعلوم الحديثة[2].

توفي عبد القادر المجاوي بقسنطينة في أكتوبر 1914م، تاركا وراءه آثارا طيبة من تلامذته العلماء الذين واصلوا دربه، وآثار تمثلت في الكتب والمؤلفات القيمة للشيخ والتي إختلفت نوعا وكيفا ولعل أبرزها:

1/ شرح لامية المجرادية في المسائل النحوية طبع سنة 1894م .

2/ شرح شواهد القطر في النحو طبع سنة 1901م.

3/ الفريدة المنسية في الأعمال الجيبية طبع سنة 1904م.

4/ تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والإختيار 1905م .

5/ الدرر النحوية في شرح الشبراوية 1907م[3].

3- كتاب "إرشاد المتعلمين":

ألف الشيخ عبد القادر المجاوي كُتبًا عدّة في شتى المجالات، وهي في غالبيتها كتب مدرسية صغيرة الحجم موجهة لطلاب العلم، فمنها ما طبع ومنها ما بقي مخطوطا لم يطبع، ويبلغ عددها حسب الدكتور سعد الدين بن أبي شنب ثلاثة عشر كتابا ورسالة ضاعت العديد منها من المكتبات

[1] – حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص12.

[2] – نفسه، ص12.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج7، ص 279.

العامة والجامعية[1]، وبذلك يعد الشيخ من القلائل الذين جمعوا بين التعليم والتأليف، فقد ألف في أغراض متنوعة وبأسلوب متين ومتخصص وأغلب مؤلفاته موجهة بالأساس إلى عامة الناس من أجل الخروج عن قوقعة الجهل والأمية والآفات الإجتماعية بالإضافة إلى أبعاد أخرى كان يرى فيها السبيل الحقيقي من أجل رقي هذه الأمة ونهوضها[2].

ومن أبرز مؤلفاته نذكر كتاب "إرشاد المتعلمين" الذي نشر سنة 1872م عن مطبعة الوهبية في مصر، لأن الطباعة العربية في الجزائر في تلك الفترة كانت قليلة جدا، وكانت محصورة في الإدارة الإستعمارية العسكرية والمدنية، والكتاب هو ثمرة السنوات التي قضاها في التدريس في جامع سيدي الكتاني بقسنطينة، وصدر في ظرف سياسي حساس حيث خسرت فرنسا الحرب مع ألمانيا الناشئة آنذاك في الحرب البروسية الفرنسية سنة 1871م[3].

للإشارة فإن الكتاب يحتوي على عشرون صفحة من الحجم الصغير ومحتواه يتضمن أفكار تجديدية وتوجيهات تربوية مركزة، يجعل منه مصدرا ذات قيمة علمية، وذلك بترتيبه على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وجاءت المقدمة تحت عنوان فضل العلم والتعلم وما يجب على كل شخص أن يتعلمه، وقد شرح فيها دوافع الكتابة، ومنها إنتشار الجهل في الأوساط الأهلية، ورغبة تلامذته في الحصول على كتاب توجيهي يخدمهم أكثر في مسارهم التعلُمي، أما الفصول: فالأول في علوم اللسان والثاني في علوم الأديان، والثالث في علوم الأبدان والرابع في المعاش –التكوين المهني اليوم–، أما الخاتمة فتحتوي على آداب وأمثال وحكم وبعض فصول وأبيات مما تمس الحاجة إليه[4].

الظاهر أن هذه المؤلفات جاءت في حقبة حساسة كانت توصف فيها الجزائر بأنها مقبرة العلوم الإسلامية واللغة العربية ومدينة الجزائر بالمدينة الأوربية الغربية، والأكثر من ذلك كان بعضها سابقة في نوعية وطبيعة المؤلفات العربية الإسلامية، ومن خلال جملة ما قلناه يمكن الإشارة إلى أن

[1] – سعد الدين بن أبي شنب، النهضة العربية بالجزائر، المرجع السابق، ص83.

[2] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج8، ص 66.

[3] – مولود عويمر، الشيخ عبد القادر المجاوي وكتابه إرشاد المتعلمين، جريدة البصائر، ع 600، الجزائر، 20 ماي 2012، ص 16.

[4] – عبد القادر المجاوي التلمساني، إرشاد المتعلمين، تح. تع. تق، عادل بن الحاج همال الجزائري، ط1، دار ابن الحزم، الشركة الجزائرية، 2008، ص29.

الشيخ المجاوي قد تمتع بحسن الصيت وبإعجاب وإحترام وتقدير كثير من العلماء والمصلحين ورجال الأدب[1].

4- القيمة السياسية للكتاب:

يمكن إعتبار هذا الكتاب كتقويم لقرابة خمسين سنة من السياسة الفرنسية التجهيلية والتدميرية على الجزائريين، فهو صرخة فكرية قوية ضد مخلفات الإستعمار، هدفها حث الجزائريين للحفاظ على إسلامهم الأصيل، والتفتح على العلوم الحديثة قصد النهوض من التخدير الذي وقع عليهم بسبب السياسة الإستعمارية للقضاء على المقاومة العسكرية، وقد خلّف ظهور "إرشاد المتعلمين" ضجة في الأوساط القسنطينية، حيث رأى فيه البعض تنديدا خطيرا بحقيقة الإستعمار مع أواخر القرن التاسع عشر وبشاعة أمر الواقع، فإغتنم مؤلفه فرصة رد الفعل لبعض أنياب الإستعمار، وقذف الحدث في الساحة العمومية بإستعماله الصحافة والرأي العام رغم التهديدات، فيقول الإمام عبد الحميد بن باديس يرثي الشيخ المجاوي "...وا أسفاه عنك أيها الإمام الذي ببزوغ شمسه تمزقت سحب الجهل وبنت غرة القلم للعين، أنت الذي عانيت في سبيل إصلاحنا أتعابا طويلة..."[2]، فالمجاوي إمتلك الجرأة لدعوة المتعلمين الجزائريين للسير في مسلك جديد للنماء العقلي والبدني، وقد أطلقت عليه الإدارة الإستعمارية "كتاب الشر"، حيث رأت فيه دعوة لليقظة والإصلاح وكشف مباشر لفشل السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر[3].

ولعل أكبر مجال تصدى له الشيخ المجاوي، هو محاربة التجنيس والإلحاد رغم قوة تياره وتبني الإدارة الإستعمارية له، فقد كان معتزا بالحضارة العربية الإسلامية والهوية الجزائرية فحافظ على لباسه التقليدي الأصيل رغم عمله في الأوساط الفرنسية، ودعى إلى الإعتزاز بماضيهم وبتاريخ أجدادهم والنهوض والتقدم والإهتمام باللغة العربية، كما دعى إلى طلب العلم وألح على ذلك بقوله "...ولقد ساءني ما رأيت في هذا الزمان من فتور المعلمين والمتعلمين، حتى أن أهل قطرنا من إخواننا المسلمين

[1] – حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص14.

[2] – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1983، ص287.

[3] – عبد القادر المجاوي، المصدر السابق، ص10.

القسنطينيين والجزائريين والوهرانيين قد تراكم عليهم الجهل..." [1]، ظهر الكتاب في سنوات السيطرة الإستعمارية على الجزائر سنة 1877م، وإنطلاق الفرنسيين إلى إحلال علومهم ونظمهم محل علوم المسلمين وحضارتهم، بعد خلو البلاد من العلماء لذلك صارت دعوة المجاوي مختلفة عن دعوات العلماء قبله، فهي دعوة سياسية بالدرجة الأولى تهدف إلى مواجهة حركة الفرنسة، والذوبان الاجتماعي للجزائريين ويقول الأستاذ القماري "هي رسالة كثيرة الفائدة في وقته، دعى فيها إلى الإصلاح الاجتماعي، كما دعى مواطنيه المسلمين عامة إلى نبذ الركود والأخذ بالأسباب الحضارية الحديثة[2].

ولا ننسى أن نذكر بأن هذا الكتاب ظهر قبل بزوغ تيار الجامعة الإسلامية وصيحة جمال الدين الأفغاني والحركة الإصلاحية العبدوية، فنال حظوة لدى الطلبة الجزائريين الذين كانوا يبحثون عن مناهج جديدة وطرق تدريس حديثة في قسنطينة ومدينة الجزائر، التي عرفت بقية تآليفه مستفيدة من ظهور الطباعة بها خاصة مطبعة فونتانة لصاحبها –وهو تلميذه– محمود كحول[3].

ويرى المؤرخ الأمريكي "آلان كريستلو Allan Christellow"هذه الحادثة كأول خطوة للحركة الإصلاحية الجزائرية في إطار النهضة السياسية، ومما سبق ذكره يمكننا القول أن المجاوي يعتبر من أساتذة النهضة السياسية العظماء في الجزائر كونه بذل جهودا جبارة وإيجابية في مجال التربية والتعليم، فعمل على إحياء التراث العربي الإسلامي دون أن يعتريه الفتور أو النكوص والتراجع، فأسهم في تنشيط الحركة التعليمية وساهم في زرع بذور الإصلاح وكتب صفحاته الأولى في أهم الحواضر السابقة في النهضة والإصلاح، ومن المفارقات التاريخية هي أن السنة التي ولد فيها المجاوي هي سنة نهاية مقاومة الأمير عبد القادر ونفيه، والسنة التي توفي فيها هي نفسها السنة التي ابتدأ فيها الشيخ عبد الحميد ابن باديس حركته التعليمية، فكان بحق حلقة التواصل بين الأجيال[4].

---

[1] – سومية أولمان، دور الشيخ المجاوي عبد القادر وكتابه إرشاد المتعلمين في الصمود الفكري بالجزائر، الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، الجزائر، 2013، ص24.

[2] – المرجع نفسه، ص45.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج7، ص279.

[4] – سومية أولمان، المرجع السابق، ص50.

المبحث الثاني: محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري وكتابه "تحفة الزائر":

إبتُليت الجزائر بمستعمر لم يشهد له التاريخ بوحشيته من قبل أروى شعبها جهلا، وأشبعه قهرا ولأن المستعمر تلميذ غبي حينما أوهم نفسه بأنه سيقضي على شعبنا نهائيا، فالأكيد أنه لم يقرأ تاريخ الجزائر جيدا، على أنها البلد الولود لرجال شغلوا دائما وأبدا الورى وملأوا الدنى بكفاحهم وتضحياتهم، خاصة لما كان لهذه الأمة من مكانة علية ومنزلة رفيعة وهبها الله رجال أبطال حفاظا فقهاء ورعين متيقظين، حفظوا تراث الأمة الجزائرية من التلوث بظلال البدع والخرافات والأهواء، فكان ميلاد الأمراء عصرا أضاء ليالي الجزائر المظلمة، وتصدى للهدامين العاتيين أعداء الأمة الإسلامية في حاضرها ومستقبلها، وعليه فمن هؤلاء الأمراء؟ وما هي إسهاماتهم ودورهم في بعث النضال السياسي للجزائر؟

1- سيرته الذاتية (1840-1913م):

الأمير محمد باشا بن الأمير عبد القادر بن محي الدين الحسيني الجزائري، ولد على الأرجح سنة 1256هـ- 1840م في ولاية وهران بالجزائر، نشأ وعاش بدمشق التي سكنها أبوه سنة 1271هـ-1855م ،كان محمد باشا يحمل رتبة فريق في الجيش العثماني[1]، وقد نال الأمير محمد لقب باشا من قبل الخليفة السلطان وتمتع مع إخوته (محي الدين، عمر، عبد الملك وزينب) بمكانة كبيرة، حيث كان يرى فيهم العالم العربي مثالا للوطنية العربية[2]، ويعتبر الأمير محمد من المؤرخين الفضلاء الأعيان كونه عكف على سيرة أبيه فجمع ما تفرق منها وبذل جهدا كبيرا في تحريرها وتنظيمها وسماها "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر" وقسمها إلى جزئين: أحدهما "سيرته السيفية" في حروبه مع الفرنسيين والأخرى "سيرته العلمية"[3].

[1]- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، ع ب، داوود بخاري ورابح قادري، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2012، ص07.

[2]- بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، ج1، تر. أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الوعي، الجزائر، 2012، ص144.

[3]- محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص08.

كما وجد لمحمد باشا مجموعة من المؤلفات أهمها: "عقد الأجياد في الصافنات الجياد" ومختصره، "نخبة عقد الأجياد" كلاهما في الخيل ومحاسنها وما قيل فيها وله أيضا: مجموع ثلاث رسائل: أولها "ذكرى ذوي الفضل في مطابقة أركان الإسلام للعقل" والثانية: "كشف النقاب عن أسرار الإحتجاب" والثالثة: "الفاروق والترياق في تعدد الزوجات والطلاق"[1] .

لقد كان الأمير محمد جدير بأبوته وقد إحتفظ التاريخ بإسمه، كونه المؤرخ الرسمي لحياة والده[2]، وبهذا يصبح موقف محمد باشا مثله مثل موقف أبيه وعائلته، فهو نابع من الخصال الفاضلة التي يستمدها من نسبه الشريف الأصل، تلك الأصول التي كان أهلا لها والتي حققت له ولكل عائلته احترام وتوقير كل الناس، في هذا الموضوع يعطي مصطفى الأشرف التفاصيل التالية "... لم تكن غاية عائلته وهدفها في الوجود إلا رسالتها النبيلة في خدمة ومؤازرة المساكين والجود في الزوايا بالعلم على شباب القرى والدواوير والحكم بالشرع فيما بين الفلاحين..."[3]، وبهذا تتضح لنا الرؤية من خلال الدور الريادي الذي لعبته عائلة الأمير محمد في بناء أول هيكل حضاري مؤسساتي أطلق عليه اسم دولة الأمير عبد القادر الجزائري، وهنا تبرز لنا أفكار وتصورات هذه الشخصيات السياسية التي أرادت أن تدفع بعجلة التنمية التاريخية والفكرية لمجتمع عربي ذاق ويلات الحروب وعاش أبشع مظاهر البؤس والشقاء، ومع توالي الأزمات وتعدد آثار النكبات، إستفاقت الجزائر ذات يوم على فقدان رمز من رموز وطنيتها ومؤرخ من عظماء مؤرخيها، وتجلى ذلك في وفاة الأمير محمد باشا بالأستانة سنة 1331هـ- 1913م[4].

لقد كانت شخصية الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري، وإمارته لأمته جديرة بأن تستقطب إهتمام وجهود الباحثين والدارسين في شتى المجالات الوطنية العسكرية والسياسية، وذلك لما حظيت به شخصيته من نبوغ وتفرد في هذه الميادين، يقول أبو القاسم سعد الله "...إن الأمير سطر

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص07.

[2] – بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص145.

[3] – عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية (من الامير عبد القادر إلى حرب التحرير)، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص108.

[4] – محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص08.

بسيفه الحوادث الوطنية والمعارك العسكرية، وسطر بقلمه الصفحات الفكرية والوقائع التاريخية..."[1]، وحتى يتسنى لأجيالنا وشباب أمتنا معرفة الدور الذي ساهم به نضال الأمير عبد القادر، ومن أجل أن يكون التاريخ نقطة الإنطلاقة لتوعية الشباب، والكشف عن التراث الحضاري والفكري للأمة الجزائرية، كان لزاما علينا أن نعرج على أهم المصادر التاريخية في سيرة ومآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر.

2- كتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر":

الهام في دراستنا هو التطرق إلى شخصية سياسية وعسكرية إستطاع الأمير محمد باشا أن يعرفنا بها ويعطي لنا تفاصيل دقيقة ووثيقة في مسيرة الرجل القدوة، وهو الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري، ومن الحقيقة التاريخية نجد الكتاب الذي بين أيدينا والذي وضح لنا شخص الأمير طيلة حياته وشجعنا على العيش معه في سلمه وحربه، في بيته ومخيمه وكُمونه في أسره، في الجزائر وإسطمبول، وبروسة ودمشق، ومكة والمدينة، ويطلعنا الكتاب على ما تعلم ودرس وما ألف وراسل، فالكتاب موسوعة سلطت الضوء على أديب شاعر محدث صوفي، ثائر محارب، مسالم مهادن، متسع الآفاق الذهنية والفكرية والعلمية، متواضع في عظمته كريم حتى في مهنته، وبهذا فهو نسيج وحدة بين زعماء عصره من الثائرين، يمتاز عنهم بالكثير وإن كان يشبههم في الكثير[2].

يُطْلِعنا مؤلف كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر على أنه عند الفراغ من ترتيب مسودة الكتاب وبعد التمعن في تحرير وتهذيب موضوعاته قام بحصره في قسمين: أما الجزء الأول فتناول سيرته السيفية مع الفرنسين والجزء الثاني تطرق فيه إلى سيرته العلميه وهذا ما لمسناه جليا في الكتاب الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1903م بالإسكندرية عن المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش[3]، وللتذكير فإن واجهة القسم الأول من الكتاب رسم على إطارها زخرفة هندسية ذات طابع إسلامي مغاربي، وكتب على هذه الواجهة كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار

[1] – عوني أحمد، الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، أشغال الملتقى الثقافي الوطني تاقدمت عاصمة الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، أيام 27-28 مارس1996، ص13.

[2] – محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط2، شر. وتع، ممدوح حقي، دار اليقظة، بيروت 1964، ص07.

[3] – محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، غرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903، ص– ص3-8.

الجزائر بخط عربي واضح، وجاء في أسفل هذا العنوان مصطلح الجزء الأول ثم مزدوجتين مزخرفتين بداخلهما كلمة سيرته السيفية ثم خط قصير يتوسط الواجهة وبعدها كتب بيت شعري جاء فيه:

قال أبو تمام:

مِنَ النَاسِ مَيِتٌ وهُوَ حَيٌ بِذِكْرِهِ ***** وحَيٌ سَلِيمٌ وهُوَ فِي النَاسِ مَيُتٌ

وفي أسفل البيت الشعري جاء اسم المطبعة وسنة الطبع كما ذكر آنفا الإسكندرية 1903م .

إفتتح المؤلف كتابه في الصفحة الثالثة بالبسملة: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ جاءت بخط كبير في أعلى الصفحة، ثم بدأ قوله بالحمد والشكر لله سبحانه وتعالى، ثم الصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، وبعدها باشر بالثناء وذكر مناقب الوالد الرجل الأعظم الذي ببزوغ شمسه علت كلمة الحق في سبيل رفع لواء البسالة والفتوة في وجه العدو الغاشم.

لقد اِحتوى هذا الجزء على 332 صفحة عالج فيها العديد من الأحداث وتطرق إلى ذكر أبرز ما عايشه الأمير عبد القادر وعائلته ومعسكره خلال مرحلة كفاحه ضد العدو الفرنسي، وبذلك اِستطاع المؤلف أن يسرد 122 حدثا تاريخيا، أدرج فيه الكثير من المعالم والآثار التاريخية التي مر بها المغرب وأبرز العلاقات التي أقامها الأمير الحسني مع دول العالم منها: مصر، المغرب وفرنسا، وكان على رأس تلك الأحداث المعلمية هو ذكر حنكة وعبقرية الأمير العسكرية أو السيفية وهي التي ذكرها هنري تشرشل في الصفحة 100 من كتابه "حياة الأمير عبد القادر" بقوله: "...إن القائد الماهر قد يختار النقطة الإستراتيجية بطريقة تقرر له النصر ويتغلب على جميع العقبات بعبقريته، ويجعلها تخدم خططه، وإن عبد القادر طبق النظريات الأوربية وكأن الأمير عبد القادر قد تخرج من الكليات العسكرية في باريس أو لندن، لذلك نراه في كل صفحة من كتابه عندما يذكر أي تفاصيل لإنتصار المجاهدين لابد له من كتابة جمل يشفي بها غليله فيرميها هنا وهناك ويضع الفضل للأوربي الشجاع ولكنه السيئ الحظ [1].

[1] – بديعة الحسني الجزائري، ج1، المرجع السابق، ص 90.

وقد عرف عن الأمير أنه كان كاتبا ماهرا وسياسيا محنكا وبرز ذلك من خلال رسالته التي بعث بها إلى بيجو "Bugeaud" سنة 1841م وهو يعبر له فيها عن تعداد جيشه ويصف له طريقة توقيع المهادنة بين الطرفين، ويشرح له تفاصيل هذا العقد الذي يرمي من خلاله الأمير إلى مكاسب ومحاسن تمكنه من العدو بطريقة سهلة [1]، كان الأمير يدرك كل ما كان يدور في رأس قادة العدو وكأن في غرفهم جهاز ينقل إليه مخاوفهم وما في أذهانهم من خطط بحيث كان يملك حدسا قويا غير عادي، عبر الأمير يوما في مجلسه العسكري قائلا "...أيها الإخوة لسنا من الرجال الذين ييأسون وإن عدم إحتفاظنا بالحصون والدفاع عنها لم يكن تقهقرا أمام العدو أو إنهزاما، وإنما هو انسحاب منظم يجعلنا نحتفظ بقواتنا، لشن هجمات متواصلة عليه وإرهاقه وزعزعة صفوفه، وإن قواته ترتعد خوفا من هجوم نشنه عليها، والطابع الإسلامي للمدن لم تستطع قواتهم المساس به أيها الإخوة نحن مجاهدون والله سبحانه وتعالى قال:﴿ ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [2] هذه الكلمة"الجهاد" إنها تعني عند كل مسلم تركيز الجهد والقدرة على التضحية حتى الإستشهاد في سبيل الله[3].

وذكر "ليون روش*Léon Roches" في كتابه "32 شهرا في الإسلام" أن إستراتيجية الأمير العسكرية أقضت مضاجع ضباطنا وجعلتهم يغيرون الخطط بإستمرار، وعلى الرغم من سيطرة جنودنا على المدن والحصون، الغريب أن الأمير لم يتقهقر وظلت هيبته قوية وإنتصاراته كثيرة وعنيفة وخسائرنا بإزدياد فجنوده يضربون ويدمرون ويختفون سريعا كالأشباح[4].

---

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 455- 456.

[2] – سورة التوبة (9)، الآية 41.

[3] – بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص 144.

*– ليون روش: شخصية فرنسية ولد بمدينة غرنوبل الفرنسية سنة 1809م ودخل الجزائر سنة 1832م وبها تعلم اللغة العربية وصار مترجما بالجيش الفرنسي، ثم غادره وإلتحق بالأمير عبد القادر في نوفمبر 1837م وعمل كاتبا لسره لكنه خدعه وتجسس عليه أثناء فترة معاهدة التافنة وفر إلى صفوف الجيش الفرنسي. ينظر: يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في المغرب، مجلة التاريخ، عدد خاص، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1983، ص25.

[4] – بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص139.

وللعودة إلى تفاصيل الكتاب فإن واجهة الجزء الثاني جاءت بنفس مواصفات القسم الأول ماعدا تغير في إسم الجزء، حيث حمل مصطلح الجزء الثاني وأسفله جاءت كلمة سيرته القلمية، ثم عرض مباشرة فهرسة لأهم المواضيع والأحداث التي عالجها الكتاب، وكانت ترمي كلها إلى بداية الحياة الثانية التي عاشها الأمير خارج الجزائر اِبتداءا من ركوبه البحر نحو فرنسا، بعد عقد معاهدة الإستسلام سنة 1847م، وحمل هذا الجزء 36 عنوانا، نوع فيها المؤلف جملة الأحداث وأبرز المحطات التي وقف بها الأمير وما عايشه خلال تلك الفترة من وقائع ومراسلات وإحتفاليات، وهنا قد عرض المؤلف سيرة مفصلة عن حياة الأمير خارج الوطن ولهذا أطلق عليها محمد باشا مصطلح السيرة القلمية، والتي جاءت في 307 صفحة تليها 04 صفحات جاءت لتبين الخطأ والصواب الواقع في الجزء الثاني من الكتاب [1].

ومما يعزز الأفكار التي جاء بها هذا الجزء هو رفض الأمير عبد القادر النفي، ومن ثمة خطفه وغدر به ورفض ما قدم إليه من مغريات في فرنسا، مزارع واسعة، قصور وحياة كحياة أحد النبلاء وكان جوابه تلك الكلمة الشهيرة "...لو وضعتم فرنسا كلها في برنسي هذا لدفعتها إلى أمواج هذا المحيط ولن أقبل بديلا عن الإتفاق الموقع بينكم" [2].

3- القيمة السياسية للكتاب:

يعتبر كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، سيرة مفصلة جد التفصيل في تاريخ الرجل الفذ، الأمير عبد القادر الجزائري كتبه ابنه محمد باشا وهو الذي رافقه منذ ولادته حتى يوم وفاة الأمير الحسني سنة 1883م، سجل فيه تاريخ حياته تسجيلا يكاد يكون يوميا، وسرد فيه رسائله ورسائل سواه، "ديميشال Demichels وبيجو Bugeaud"، وممن لهم أدنى تعلق به فما مرت به حادثة حتى اِستوفاها بحثا وأشبعها نقلا، وبهذا المعنى يصبح الكتاب كسيرة تاريخية بارزة لشخصية عظيمة نالت الأوسمة والهدايا من كبريات الدول في العالم[3]، والملاحظ أن الذي دفع الأمير محمد باشا إلى تأليف

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المصدر السابق، ج2، ص– ص01-311.

[2] – بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص51.

[3] – محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تح. ممدوح حقي، المصدر السابق، ص08.

هذا الكتاب هو التفاخر بالمجد وتسجيل المحامد التي إشتهر بها العرب منذ قديم الزمان، وقد إتخذ المؤلف قاعدة أساسية في بناء هذه السيرة التاريخية، ألا وهي محاولة إبراز مدى القيمة العسكرية والسياسية والثقافية التي كان يحظى بها الأمير عبد القادر، وقد تكلف في تأليف هذا الكتاب جهدا ومالا وسهرا وتعبا كبيرا، حتى إذا أتمه وحاول أن يدفعه إلى المطبعة ويخرجه إلى النور سرق منه عمدًا، تعجيزا له ومنه تفجّر جهد جديد وهمة عظيمة أنجزت هذا الكتاب[1].

لذا يمكن القول أن هذا الكتاب يعتبر كنز من كنوز المصادر التاريخية التي أحيت النفوس الجامدة من خلال الإطلاع على مقدار جهاد أبائهم، وأجدادهم في سبيل الحرية وكفاحهم لدفع وجه الإستعمار البغيض وبعد دراستنا لشخصية الأمير في كل مظاهرها من خلال هذا الصرح التاريخي الكبير، يجب علينا أن نحدد دوره في تكوين الأمة الجزائرية وتشيد أول دولة جزائرية وكذا التطور الذي إنتهى إلى إنطلاق حركة سياسية رسخت شعورها بمفهوم الجهاد وبإلغاء النظام القبلي وتوحيد القبائل، وإذا كان الكتاب يحمل كفاحا بإسم الدين الوسيلة القوية لتعبئة الجماهير، فإنه كان يرمي إلى غاية سياسية ألا وهي ميلاد حركة وطنية تدعو إلى إستقلال البلاد والدفاع عن مصالحها.

وفي هذا الشأن كتب "جاليسو Gallissot": "لقد تولد عن القائد الديني قائد حربي ثم أصبح قائدا سياسيا بينما كان التضامن ينتشر بين القبائل"، ويعزز من جهته التونسي هرماسي في تحديد دور الأمير يبعث روح الفطنة والتعاون من أجل النهوض في سبيل القضية الوطنية بقوله: "إن محاولة تحقيق ترابط بين عناصر متجزئة والدخول في الحقل السياسي المهجور، بسبب عجز الجهاز التركيبي ومقاومة عناد الجيوش الفرنسية قد جعلوا من الأمير في زمن لازال فيه المجتمع غير مبال بالتوحيدات السياسية، رمزا حقيقيا للهوية الوطنية"[2]، وهناك الكثير من المؤرخين والساسة الفرنسيين من يشاطرون هذا الرأي ومنهم "مارسيل إميريت Marcel Emerit" كان الأمير "بطل الإستقلال وبطل الشعور الوطني في الجزائر" ويعترف "الجنرال ديميشال Desmichels" وهو أول من أمضى معاهدة مع الأمير بأن هذا الأخير "هو ممثل لشرعية جديدة في الجزائر" وكتب رجل السياسة المشهور "أدوولف

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص09.

[2] –عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص285.

تيير Adolphe Thiers" الذي كان أحد رجال الحكم في زمن الحرب ضد الأمير فيقول: "إن الأمير هو رمز الهوية العربية" ويكتب لنا في نفس الإتجاه عالم الإجتماع "جورج تاليادو T. Georges" وفيما يخص التاريخ الجزائري، فإن الأمير عبد القادر هو الذي كون القاعدة السياسية للدولة الجزائرية الحديثة،كما أن فكرة الوطني هو الذي يعبر رمزيا عن المثل الأعلى للحركات الثورية والإستقلالية الجزائرية في القرن العشرين، وأخيرا يذكر المؤلف الأمريكي "رافاييل دانزيجر Rafael Danziger" في كتاب حديث له حول شخصية الأمير "إن القوة العسكرية والنظام السياسي هما دعامتا تأسيس الدولة المستقلة"[1].

ومن هنا يتضح لنا البعد الأساسي الذي أراد من خلاله مؤلف كتاب تحفة الزائر أن يقدم رسائل مشفرة تحمل في باطنها معالم الدعوة إلى النهوض وتوحيد الصفوف من أجل القضية الوطنية، والتي تتجلى أفكارها في إحياء نظام سياسي يوافق مبادئ العصر خاصة مطلع القرن العشرين، الذي عرف عنه أنه عصر تغير الإيديولوجية الحربية، من عسكرية قتالية إلى نشاط سياسي يلعب فيه القلم واللسان دور المحارب والمدافع عن مبادئ الأمة وهويتها.

المبحث الثالث: الشيخ أبو القاسم الحفناوي وكتابه "تعريف الخلف برجال السلف".

من العلماء المجدين والمجتهدين الذين جمعوا بين العلوم الدينية والدنيوية، كان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا ذاكرا للتاريخ باحثا ومحققا فيه لازم التدريس، فلم ينقطع عنه رغم تخطيه سن الثمانين فشهد له التميز والتفوق الداني والقاصي، فكان من أولئك الرجال الذين قدموا إلى مدينة الجزائر، فأناروا بنشاطاتهم وجهودهم العلمية سماءها مع بداية القرن العشرين، ذاك هو العلامة الشيخ أبو القاسم الحفناوي فمن يكون؟ وماهي جهوده الفكرية والإصلاحية في إحياء الوعي السياسي بالجزائر؟

1- سيرته الذاتية (1850م-1942م):

هو الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي، المعروف بابن عروس بن الصغير بن محمد بن محمد المبارك بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن مرزوق بن سيدي إبراهيم الغول[2]، ولد بقرية

[1] - عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص286.

[2] - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، تق. محمد رؤوف القاسمي الحسني، الجزائر، دار موفم للنشر، 1991م، ص03.

الديس* ببوسعادة حوالي سنة 1266م-1850م من أسرة علمية شريفة[1]، دخل الكُتاب وحفظ القرآن الكريم عن الشيخ العلامة محمد بن عبد الرحمن الديسي، وقد تميز بسرعة الحفظ والفهم[2]، كما تعلم عن والده وأخذ عنه مبادئ العلوم، فهو من أعيان علماء عصره في اللغة والأدب والفقه والتوحيد، وإليه كانت الرحلة في طلب النحو والصرف والتوحيد، وتخرج على يده عدد وافر من الطلبة، إنتشر صيتهم ما بين قسنطينة إلى سوف ومن نفطة** إلى الأغواط، وكان منهم ولده الحفناوي الذي أخذ مبادئ العلوم عن والده[3].

أما أمه هي السيدة خديجة بنت محمد المازري بن يطو بن محمد بلقاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد السنوسي بن مرزوق بن سيدي أمحمد بن سيدي إبراهيم الغول، ويتقاطع نسبها مع نسب والده عند الجد الرابع محمد بن أبي القاسم[4]، ومن جهة أبيه له ثلاثة أعمام هم سيدي التومي بن الصغير وهو كبيرهم، وسيدي المحيي وسيدي الأكحل أما إخوته فثلاثة هم: المدني وعبد القادر وأحمد[5]، وفيما يخص أسرة الشيخ الحفناوي الصغيرة فالمعروف أنه تزوج مرتين في حياته، الزوجة الأولى هي السيدة "قوراية" يقال أن أصلها تركي من مدينة الجزائر، يذكر أنه قد تزوج بها بعد عام 1884م، وهي أم أولاده الخمسة: عبد الرحمان، فاطمة، خديجة، حورية ونفيسة، أما زواجه بالثانية كان عقب وفاة الأولى بقليل هي رحمة بنت الشيخ بلقاسم ابن تومي[6].

ومن خلال تتبعنا لمسار الشيخ الحفناوي التعليمي، فإننا نجده قد تلقى العلم على طائفة كبيرة من العلماء، ممن اشتهروا بنبوغهم في مختلف أنواع العلوم والمعارف، عُرف عن الحفناوي أنه كان كثير

---

*- الديس: هي قرية موجودة بسيدي إبراهيم تابعة لحاضرة بوسعادة التي تقع على بعد 242 كم جنوب مدينة الجزائر .ينظر: محمود كحول، التقويم الجزائري، السنة الثانية، مطبعة فونتانة ، الجزائر، 1912، ص169.

[1]- المصدر نفسه، ص169.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص88.

**- نفطة: عند إحتلال بسكرة (1843- 1844) هاجر مصطفى بن محمد بن عزوز إلى نفطة إحدى الوحات التي تقع بالجريد جنوب تونس وأسس بهما زاوية رحمانية أصبحت ذات شهرة واسعة سيما قبل إحتلال تونس سنة 1881م، وهي التي إنفصلت عن الطريقة الرحمانية الخلوتية بالجزائر. ينظر: أبو القاسم الحفناوي المصدر السابق، ج2، ص176.

[3]- نفسه، ج1، ص- ص 176- 189.

[4]- نفسه، ج2 ، ص 543.

[5]- نفسه، ص 191.

[6]- نفسه ، ص ص 159 - 160.

الترحال والتنقل في سبيل طلب العلم والمعرفة والإتصال بمشيخة كبار معاهد العلم والزوايا الشهيرة في وقته، مثل زاوية طولقة ببسكرة ومكث هناك أربع سنين بمعية شيخها الحفناوي بن الشيخ علي بن عمرو مؤسس الزاوية وهو من تلامذة والده[1]، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ "ابن أبي داود" بأقبو ببلاد زواوة وبقي بها ثلاث سنوات، ليعود إلى بوسعادة ويلتحق بزاوية الشيخ محمد بن أبي القاسم الشريف العماميلي لسنتين، أخذ فيهما التفسير للحديث الشريف عن مؤسس زاوية العمامل، فتم إجازته بإجازة تشهد لصاحبها بالتحصيل العلمي مع الإذن له بالتعليم[2]، ونذكر من مشايخه:

– الشيخ محمد أبو القاسم (بن عروس): وهو والده وقد سبقت ترجمته توفي سنة 1311هـ-1893م[3].

– محمد بن عبد الرحمان الديسي البصير (1270هـ/1854م-1339هـ/1921م): وهو من أكثر شيوخ الحفناوي تأثيرا عليه، فهو الذي أتم على يده حفظ القرآن الكريم حتى أتقنه، وكان هذا الرجل نابغة عصره وحجة في الأدب والتصوف والمعقول والمنقول مع ذهاب بصره وبلوغه السن عتيا[4].

– الشيخ الحفناوي بن علي بن عمر: هو شيخ زاوية طولقة العثمانية خلال مرحلة دراسة الحفناوي.

– الشيخ محمد الصديق الديسي (1243هـ/1826م—1306هـ/1888م): كان الشيخ متزوج بأخت الحفناوي لهذا نجد أن العلاقة بين الأستاذ وتلميذه كانت قوية فقد قرأ عنه دلائل الخيرات ومطالعة البيضاوي والقسطلاني والإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز[5].

– الشيخ محمد الطيب بن أبي داود (1309هـ/1891م): وهو مؤسس زاوية بن أبي داود بزواوة قال عنه الحفناوي أنه كان "ذا فهم عميق ونظر دقيق وتحصيل كثير في الفنون النقلية والعقلية"[6].

---

[1]– عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1975م ، ص– ص 425– 435.

[2]– عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر خاصة، من قبل التاريخ و إلى 1962م، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 392.

[3]– أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص 187.

[4]– عمر بن قينة، الديسي حياته وآثاره وأدبه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص – ص13– 26.

[5]– أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص – ص529 –531.

[6]– نفسه، ص 449.

- الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي (1315هـ/1897م): صاحب زاوية الهامل ومؤسسها وهو سليل أسرة عريقة في العلم والتقوى من مشاهير علماء الجزائر في العصر الحديث[1].

نظرا لشغف الشيخ أبو القاسم بالكتب وبتحصيل العلوم، إرتأى أن ينتقل إلى الجزائر العاصمة لأخذ العلم عن علمائها والإطلاع على خزائنها، فنزل بها سنة 1300هـ-1883م وهناك تعرف إلى مجموعة من العلماء كان منهم الشيخ علي بن الحفان المفتي المالكي، ومدرس الجامع الكبير والشيخ القزادري والأستاذ الشيخ حسن بريهمات مدير المدرسة، فإقترحوا عليه أن يكون معلما بمدرسة هذا الأخير، فإمتنع الشيخ الحفناوي عن ذلك وقال: "إنما جئت طالبا للعلم لا معلما"، ولكن الجماعة رأت فيه الكفاءة ليُأخذ عنه العلم، فنزل عند إقتراحهم وتقلد منصب التدريس لمدة خمسة أشهر فقط ليغادر العاصمة عائدا إلى مسقط رأسه قرية الديس[2]، ولم يطل الشيخ أبو القاسم الحفناوي المكوث ببلدته حتى استدعي من الولاية العامة بمدينة الجزائر سنة 1884م للتحرير بجريدة "المبشر"* الرسمية، ثم أصبح مدرسا بالجامع الكبير سنة 1897م[3].

أصيب الحفناوي في آخر حياته بالشلل، وعندما عجز الأطباء عن شفائه عاد إلى مسقط رأسه حيث قضى أيامه الأخيرة صابرا محتسبا بعد أن تمكن منه المرض، إلى أن أسلمت روحه إلى بارئها يوم الجمعة 21 ذي الحجة 1360هـ الموافق لـ 10 جانفي 1942م[4].

2- نشاطه الثقافي وإنتاجه الفكري:

ساهم الشيخ الحفناوي في النهضة الجزائرية في مطلع القرن العشرين، وكان من مظاهرها إنتعاش الصحافة العربية وتأسيس النوادي الثقافية والجمعيات المدنية ذات الطابع الاجتماعي أو

---

[1]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة،المرجع السابق، ج1، ص 65.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المرجع السابق، ص- ص 425-428.

*- المبشر: تعتبر أول جريدة عربية في المغرب العربي، وثالث جريدة في العالم العربي كله، صدرت بالعاصمة في 15 سبتمبر 1847م، أمر بإنشائها الملك "لويس فيليب" من أجل القضاء على العناصر الوطنية الثائرة، ينظر محمد بن صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م، ط2، الغاديزاين، الجزائر، 2006، ص21.

[3]- محمود كحول، التقويم الجزائري، المصدر السابق، ص169- 170.

[4]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص435 .

الديني ومن بينهما الجمعية الراشدية*، التي كان الحفناوي مشاركا في أغلب نشاطاتها خاصة عام 1907م[1]، وقد أثر الحفناوي بن الشيخ من خلال نشاطاته الثقافية المكثفة في الجمعيات والنوادي في يقظة الجزائر خلال هذه الفترة وهذا بالتركيز على التعليم والتقدم والتحرر من أجل تطوير المجتمع الجزائري، وجعله مجتمعا حديثا ومتنورا بدل بقائه مجتمعا قديما وتقليديا.

لعل أهم ما ساهم به الحفناوي في النهضة الجزائرية الناشئة، هو تأليفه لموسوعة تراجم لشخصيات في جزئين، تناول فيها المشاهير الجزائريين الذين ساهموا في الحياة الثقافية والدينية والسياسية لبلادهم[2]، كما حاول الحفناوي في مساعيه الثقافية والإجتماعية تشجيع الإدارة الفرنسية على مبادرتها في التعليم والأعمال الخيرية[3]، ومن إنجازاته القيمة أيضا هو إسهاماته الثرية في اللجنة التي شكلها "موريس فيوليت Maurice Violette" من رجال القانون والقضاء الفرنسي، وثلة من كبار العلماء الرسميين لتدوين المعاملات في الفقه الإسلامي بصفة مجلة قانونية يرجع القضاة والوكلاء والخصوم إلى بنودها، كما يجري به العمل في البلاد العثمانية سابقا[4].

وتنوعت أنشطته الفكرية والثقافية داخل المجتمع وذلك بمساهمته في معالجة قضايا المجتمع الجزائري ذات البعد الديني، فقد كانت للحفناوي إجتهادات وفتاوى جريئة أصدرها منذ توليه منصب المفتي المالكي لمدينة الجزائر عام 1344هـ- 1925م خلفا للشيخ محمد أرزقي بن ناصر، وكان هذا المنصب من المناصب الدينية الهامة جدا في ذلك الوقت، حيث لا يتقلده إلا من كان متمكنا من ناحية العلوم الشرعية خبيرا بالقضايا التي تعرض للناس في حياتهم الإجتماعية، ويشهد له معاصروه بصرامته في الحكم والإفتاء عندما تتعارض أفعال البشر مع صريح الأحكام الشرعية[5]، وفيما يرجع

*- تأسّست سنة 1894م من شباب جزائري خرّيجي المدارس الفرنسية الجزائرية، وبتأييد من فرنسيّين متعاطفين مع الجزائر إستطاعت أن تنشأ فروعا لها عبر الوطن وتحقّق بذلك الإنتشار بسرعة، هدفها مساعدة الشّباب الجزائري على العمل والتّفكير، ومن بين الوسائل الّتي ارتكزت عليها لتبليغ رسالاتها، إلقاء محاضرات لتوعية الشّعب ونشر الثّقافة الإسلامية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج2، ص139.

[1]- نفسه ، ص140.

[2]- أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص 212.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 429.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص 532.

[5]- أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص 217.

إلى نشاطه في ميدان التأليف نراه مؤلفا بارزا وكاتبا لامعا فيما حرره في كتابه الحافل"تعريف الخلف برجال السلف"من خلال جمعه لتراجم مجموعة من علماء الجزائر وخيرة أدبائها الأبرار، الذين لولاه لما عرفهم تاريخ الجزائر، وذهبت عنا أخبارهم مع الأيام ولولاه أيضا لضاع منا الكثير من تاريخ الحركة العقلية بالجزائر[1].

كما أنه ترجم عن الفرنسية بمشاركة الأستاذ "جان ميرانت Jean Mirante"* كتابا في تدبير الصحة وأسماه "الخبر المنتشر في صحة البشر"، وقد طبع الكتاب بالجزائر سنة 1908م ونشرته الإدارة الفرنسية على عهد "شارل جونار Charles Jonnart" بهدف تعميم ودعم أعمال تآليفه التي تبدو بريئة لعلاقتها بحفظ الصحة على العموم[2]، وقد ألف الحفناوي أيضا كتاب "القول الصحيح في منافع التلقيح" وكتاب يتعلق بتربية النحل وإستثمار العسل أسماه "رفع المحل في تربية النحل" وكلاهما مطبوع بالجزائر في مطبعة فونتانا بدون تاريخ، وله مقالات في اللآداب والسياسة والإجتماع وبحوث علمية كثيرة صدرت بجريدتي المبشر وكوكب إفريقيا**، بالإضافة إلى تنظيمه لمقطوعات شعرية نظمها في مناسبات وأغراض مختلفة وله من غير المطبوع كتاب "المستطاب في أقسام الخطاب" و"غوص الفكر في حروف المعاني"[3].

3- كتاب "تعريف الخلف برجال السلف":

عرفت الكتابة التاريخية بالجزائر مكانة مرموقة وإهتماما متزايدا وسخرت لها إمكانات هائلة للتصدي للحملات الإستعمارية الرامية لتشويه ماضي الجزائر، وقد ساعد عدد من الجزائريين بأعمالهم في هذا الميدان بالبحث في ماضي الجزائر وتدوينه قصد الدفاع عن الوجود القومي، وتجلى ذلك من

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص433.

*- جان ميرانت: من الظباط الخبراء في الشؤون الجزائرية و قد تولى إدارة المبشر على مرتين لمدة طويلة أوائل القرن العشرين. ينظر: أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، تح، خير الدين شترة، ص220.

[2]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج7، ص257.

**- كوكب إفريقيا: هي جريدة صدرت بالجزائر العاصمة في 17 ماي 1907م لمديرها محمود كحول، كانت تُعنى بتقصي السياسة الإستعمارية والدعاية لها، يوجد منها 07 أعداد بالمكتبة الوطنية بباريس توقفت عن الصدور سنة 1914م. ينظر: محمد بن صالح ناصر، المرجع السابق، ص34.

[3]- أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص225.

خلال أعمال الحفناوي خاصة كتاب "تعريف الخلف برجال السلف"[1]، وقد صدرت الطبعة الأولى من الجزء الأول في حياة المؤلف عن مطبعة فونتانة الشرقية بالجزائر سنة 1324هـ- 1906م، وعن نفس المطبعة صدر الجزء الثاني عام 1326هـ- 1908م، كما طبع في تونس بمكتبة الشيخ خير الدين في حدود سنة 1339هـ- 1920م، وقد وقع تصويره في السبعينات في بيروت دون تنقيح أو إضافة، ثم صدر الكتاب بمطبعة حديثة تضمنت تصحيحات وتعليقات سنة 1392هـ- 1982م عن مؤسسة الرسالة في بيروت بالتعاون مع المكتبة العتيقة في تونس[2]، ثم صدر الكتاب من جديد ولكن هذه المرة في دار موفم للنشر الجزائرية سنة 1991م، مع مقدمة قصيرة للكتاب وصاحبه[3]، وللإشارة تتوفر نسخة ورقية* للكتاب بمكتبة جامعة الجزائر المدرجة تحت رقم 5529، بالإضافة إلى تلك المصورة وهي متاحة على الشبكة العنكبوتية (الأنترنيت)[4].

لقد رأى الحفناوي أن يقسم كتابه إلى قسمين: القسم الأول خصصه لترجمة الأعلام الذين وجد أسمائهم (50 شخصية) منقوشة في قباب المدرسة الثعالبية وأضاف إليهم علما آخر، أما القسم الثاني فقد جعله لتراجم من علماء القطر الجزائري ومن الأقطار الأخرى كالسودان الغربي وتونس والأندلس وبلغ عددهم 369 ترجمة[5].

إحتوت نسخة الكتاب على 831 صفحة وهي بخط المؤلف، وجاءت مواضيع الكتاب تحت جزئين، تم طبع الجزء الأول سنة 1906م وجاء في صفحته الأولى من الأعلى إلى الأسفل ولاية عموم الجزائر ثم هلال وعليه نجمة ترمز لهوية الكتاب الإسلامية، ثم عنوان الكتاب "تعريف الخلف برجال السلف" ثم ذكر لصاحب الكتاب مع نسبه (أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ابن سيدي إبراهيم الغول عامله الله بلطفه)، وفي أسفل الصفحة جاءت سنة نشر الكتاب ثم

---

[1]- أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص02.

[2]- أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص 295- 296.

[3]- نفسه، ص 01.

*- النسخة الورقية: متوفرة بشكل متاح لكل الباحثين بمكتبة الشيخ خليل القاسمي الحسني بزاوية الهامل وكذا بالزاوية الحملاوية، تلاغمة (قسنطينة)، كما تتوفر بالمكتبة الملكية المغربية، قسم المخطوطات تحت رقم 065- 920 .

[4] -https://www.ahlalhdeeth.com, 10/01/2018(21:00)-10/01/2018(21:30).

[5]- أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص 306.

مكان طبعه بعدها جاءت صفحة المقدمة أو التمهيد بالرسم التالي: مبنى هندسي مزين بشموع كأنها مضيئة عليه قباب يعلوها هلال ونجمة، وكأنه يرمز إلى الشكل الهندسي للمدرسة الثعالبية تضمن بداخله عبارة ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ في أعلاها ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم في أدنى هذا الرسم.

تضمن هذا الجزء التعريج على دور القطر الجزائري في طلب العلم ونشره وإخراج علماء نافسوا أقرانهم في الأقطار الأخرى إلى عالم الجيل الحاضر كي يقتفوا آثارهم ويقتدوا بقدوتهم، كما أشار إلى دور المدرسة الثعالبية في تنوير الأمة الجزائرية، ليبدأ بعدها في وصفها مع التركيز على اِنشغال القائمين على بنائها محاولة إخرجها وفق الطابع الأندلسي الإسلامي، وعليه فإن عمله في القسم الأول من الكتاب قام على الواقعية والشمولية في آن واحد، وهذه كانت ميزة مؤرخي العصور الأولى من أتباع مدرسة المدينة المنورة ومدرسة الشام.

أما الجزء الثاني والذي طبع سنة 1908م قد تضمن 624 صفحة، جاءت صفحة الواجهة بنفس الشكل والصيغة التي كتبت بها واجهة الجزء الأول مع تعديل في تسمية الجزء وسنة النشر، تضمن الجزء الثاني ذكرٌ لـ 369 عالما، مزج من خلال كتابه بين علماء الجزائر وعلماء الأقطار الأخرى وجاءت لغة الحفناوي في هذا القسم تدل دلالة واضحة على ثقافته الأدبية القوية، ولم يكن متأثرا في لغته بالثقافة الفرنسية وبهذا استطاع الحفناوي أن يجمع شتات ما كان منشورا في كتب تاريخية عديدة يصعب في غالب الأحيان على القراء الوصول إليها، وأضاف إلى ذلك عدة معلومات عن عائلته وعن مؤسس الزوايا ومشايخهم[1]، وبهذا يبقى الكتاب من أعظم الأعمال التي خدمت الوطن وحفظت به جانبا هاما من حياة الجزائر الثقافية، كما خلد به ذكره في الحركة العلمية والثقافية على حد قول ابن أبي شنب هو: "تقيده تراجم رجال عرفهم طيلة حياته"[2].

[1] – بن قينة عمر، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م، ص 130.

[2] – سعد الدين بن أبي شنب، النهضة العربية بالجزائر، المرجع السابق، ص 49-50.

4- القيمة السياسية للكتاب:

تبلغ قيمة كتاب "تعريف الخلف برجال السلف" في كون كاتبه قد بذل جهودا علمية وفكرية لتوصيل ما يمكن توصيله من أخبار علماء وأولياء الجزائر، فنقب في صفحات المخطوطات وقرأ العشرات من كتب التاريخ ملتمسا منها كل ما يتعلق بالماضي الجزائري ليعرف الجزائريين ما كان لهم من العلم والعلماء فيما مضى من الأيام، ليستوفي ما يمكن اِستيفاؤه من تاريخ تلك الشخصيات التي تشكل جزءا من ذاكرة الأمة الجزائرية، وبهذا يعتبر كتابه موسوعة للسير الذاتية لمشاهير أقطاب العلم في الجزائر، أما الحفناوي فيصنف ضمن رواد النهضة العلمية التاريخية بالجزائر مع مطلع القرن العشرين.

ومما لاشك فيه أن الكتاب قد ساهم بشكل كبير في إحياء التراث الثقافي الجزائري القديم، ويعتبر من مظاهر النهضة الجزائرية في بداية القرن العشرين، وهذا يتجلى من خلال الدوافع التي جعلت بأبي القاسم الحفناوي يؤلف هذا الكتاب ويبدو هذا واضحا من خلال عباراته الصريحة التي تدعو إلى الإزدهار الثقافي والنشاط العلمي الذي عرفته الجزائر في سابق عهودها، وإلى الآثار القيمة التي خلفها علماؤها في مختلف مجالات المعرفة.

هنا يظهر لنا الهدف الجليل الذي من أجله وضع هذا المؤلف، بحيث يسعى إلى إيجاد وعي حضاري لدى الأجيال الجزائرية بهويتها وجهة إنتمائها، ويمحو من نفوسها ذلك الضياع الذي كانت تعيشه، وإعتبر الحفناوي أن إحياء هذا التراث العريق وتمكين الجزائريين منه سيكون القاعدة التي يتم الإرتكاز عليها للسير نحو المدنية الحديثة، وهذا ما جاء على لسان الوالي العام الفرنسي حول موقفه من الكتاب فقال: "...أحيا لجيلهم خير ما كان لأسلافهم من مدنية الإسلام وأحسن إليه بما يناسب من العصر الجديد لإجتماع كسوره وإنتظام أموره، وليمكنه الإرتقاء في مدارك العمران ومدارج العرفان..."[1] وقد زادت الإشارات الجريئة إلى ماضي الجزائر المصبوغ بالطابع العربي الإسلامي والإشادة به وبرجاله والتأكيد على الخصوصية الثقافية للشعب الجزائري، مواجهة الآخر والتي نجدها مبثوثة في الكتاب، تكشف عن البعد النهضوي والتطور الواعي الذي ميز هذا العمل التاريخي الهام.

[1] – أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص120.

خاتمة الفصل:

تكتسي الكتب التي تطرقنا لها بالدراسة والتحليل في هذا الفصل أهمية بالغة بين مؤلفات الجزائر، كونها صورت بجلاء الحياة العلمية والثقافية في الجزائر المعاصرة، وعلاقتها بالحواضر العلمية المجاورة لها، حيث تعتبر هذه الحركة العلمية التأليفية بمثابة المفتاح لكثير من القضايا الثقافية والاجتماعية التي تكتنف تاريخ المغرب الأوسط أين كان يعاني التجاهل والنسيان بفعل ضياع الكثير من موروثه العلمي، وتتمثل القيمة الأساسية لهذه الكتب في كونها محاولة جد موفقة لإحياء التراث الوطني الذي كان يعاني من الحرب الثقافية الإستعمارية من جهة، والإهمال والنسيان من الجزائريين أنفسهم الذين سحقتهم ظروف البؤس والحرمان من جهة أخرى، وظهور هذه الحركة في مثل هذه الفترة الزمنية المهمة، يعبر عن موقف شجاع أعلن فيه أصحابه عن تباشير النهضة العربية الإسلامية التي بدأت تلوح في أفق البلاد بعد عقود الظلام الدامس، وبالتالي ظهرت معا لم ميلاد الشعور القومي والوطني بأحقية، كشف الستار عن الحقائق والغايات التي من أجلها بادر أولئك المصلحون في تحقيقها، وهي الحرية التي تعتبر رمز من رموز الوطنية.

الفصل الثاني

أعلام الحركة الوطنية ونشاطهم في تطور العمل السياسي.

المبحث الأول: مبارك الميلي وكتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث 1898م-1945م".

المبحث الثاني: فرحات عباس وكتابه "الشاب الجزائري" "Le Jeune Algérien" .

المبحث الثالث: أحمد توفيق المدني وكتابه "كتاب الجزائر".

المبحث الرابع: عبد الرحمن الجيلالي وكتابه "تاريخ الجزائر العام".

تمهيد:

مع مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين تطور نشاط الحركة الوطنية وتعددت أساليب المواجهة ضد الإستعمار، والتي كانت كلها سليمة فأصبح الإفتخار بأمجاد الجزائر وتاريخها إحدى هذه الوسائل خاصة مع بروز جماعة من المؤرخين، الذين واصلوا مشوار سابقيهم فأنتجوا كما محترما من المؤلفات، جاءت كردة فعل عن سياسة الإستعمار وما مارسه من مظالم في حق الجزائريين خاصة بعد الإحتفالات المئوية المخلدة للإحتلال سنة 1930م، وبالتالي فإن الغرض الأساسي منها لم يكن علميا محضا بل كان إحدى وسائل النضال ضد الإستعمار، وأُعْتُبرت سلاحا هاما ضد سياسة التشويه والتغليط التي أنتجها الإستعمار في حق تاريخ الجزائر، كما كانت تذكيرا للجزائريين ببطولات سابقيهم بهدف نشر الوعي والحماسة بينهم، في هذا الإطار نذكر نماذج هذا الصنف من الكتابات فالشيخ مبارك الميلي ألف كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث في عام 1929-1930م، وفرحات عباس جمع مقالاته السياسية في كتابه المشهور الشاب الجزائري سنة 1931م أما المرحوم أحمد توفيق المدني فكان أكثر إنتاجا، حيث خص الشباب الجزائري بعدد هام من المؤلفات، ومنها كتاب الجزائر الذي صدر في عام 1931م، وكتاب محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م وكان قد ألفه في سنة 1938م، أما الشيخ عبد الرحمن الجيلالي فأصدر أربع مجلدات حول تاريخ الجزائر من القديم إلى غاية عام 1954م، وكان أبرزهما الجزء الأول والثاني اللّذين طبعهما في عامي 1953-1954م، ومنه يمكن طرح السؤال الآتي: فيما تكمن القيمة السياسية لمؤلفاتهم في تطور الوعي الوطني لدى الجزائريين ؟

المبحث الأول: مبارك الميلي وكتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث".

جاء في أحد التقارير السرية التي كتبها المسؤولين الفرنسيين "أن العلماء كانوا يمثلون أكبر خطر على الفكرة الفرنسية في الجزائر فشُعب مدارسهم عبارة عن خلايا سياسية، والإسلام الذي يمارسونه مدرسة حقيقية للوطنية"، كما أدى ظهور ورواج الكتابات الفرنسية حول تاريخ بلاد المغرب بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة إلى ظهور مجموعة من الكتابات التاريخية العربية التي تهدف إلى التصدي للمشروع الثقافي الفرنسي، وإلى محاولة التأهيل لفكرة "الدولة الأمة" إنطلاقا من الماضي البعيد، وقد جسد هذا التوجه في الجزائر شخصية دينية إصلاحية كان لها دور كبير وهام في إبراز البعد الروحي والقيمة التاريخية الحقيقة لماضي الجزائر، وعليه يمكن طرح السؤال الآتي: من هو رائد هذا التوجه الإصلاحي بالجزائر؟ وفيما تكمن نظرته الإصلاحية في بناء صرح الحضارة الجزائرية؟

1- سيرته الذاتية (1898م-1945م):

ولد مبارك الميلي في 23 ماي 1898م الموافق لـ 1316هـ بقرية أولاد مبارك، والده هو محمد بن رابح بن علي الإبراهيمي الميلي نسبة إلى مدينة ميلة، المحاذية لمدينة قسنطينة وجيجل، توفي والده سنة 1902م وعمره أربع سنوات أما والدته فهي تركية بنت أحمد بن فرحات حمروش، كانت إمرأة تقية فاضلة وتوفيت بعد زوجها بقليل[1]، عاش بعدها مبارك يتيما في حضن جده، ولما بلغ عشر سنوات كان قد حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية على يد شيخه أحمد مزهود، ليلتحق بعدها بزاوية الشيخ سيدي حسين ومنها نهل العلوم العربية والدينية كالمتون والشروح[2].

كان مبارك الميلي إنسانا زاهدا كريما حسن الخلق والمعاملة، ومن حسن حظه أنه سخر الله له أحد أثرياء البلدة، وهو محمد أبو الصوف فلم يبخل عليه بماله أثناء دراسته وقد افتداه من الخدمة العسكرية الفرنسية بالمال مقابل تجنيد آخر مكانه[3].

---

[1] – محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص ص324- 225.

[2] – محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، المرجع السابق، ج2، ص ص 16-17.

[3] – محمد الميلي، المرجع السابق، ص 105.

بعد مشوار علمي في مسقط رأسه بميلة نصحه أستاذه بالإنتقال إلى قسنطينة للإستفادة من ابن باديس وفعلا رحل الميلي إلى قسنطينة وكان لقاؤه مع هذه الشخصية نقطة تحول هامة في حياته، حيث أخذ منه روح النقد وتعززت لديه الجرأة في إتخاذ القرارات والأفعال الصائبة[1]، وفي سنة 1919م أرسله ابن باديس إلى جامع الزيتونة[2] بتونس لمتابعة دراسته العليا، ومنها نجح في مهمته وتحصل على شهادة التطويع، ورجع بها إلى قسنطينة ليباشر عمله كمعلم ومربي في مدارسها الحرة كجامع سيدي بومعزة الذي يعتبر كأول مدرسة عربية أُنشأت سنة 1922م تحت إشراف ابن باديس[3]، وفي سنة 1927م رحل مبارك إلى مدينة الأغواط في الجنوب الجزائري والتي استقبله أهلها إستقبالا كبيرا، وإستطاع بعدها أن يؤسس مدرسة تولى فيها الإشراف على تعليم أبناء المنطقة بنفسه، كما ساهم في تغيير بعض المظاهر الإجتماعية والثقافية السائدة بالمنطقة[4].

غادر مبارك الميلي الأغواط متجها نحو بوسعادة جراء الضغط الإستعماري الفرنسي، لكن حظه مع الإدارة الفرنسية في تلك الفترة لم يكن أفضل من الأولى حيث أمرته بمغادرة بوسعادة أيضا سنة 1933م، ليعود بعدها إلى ميلة بحيث تحول إلى مصدر إشعاع ثقافي وديني بالرغم من المضايقات التي واجهته، وشارك مبارك الميلي في نشاط وحركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مشاركة فعالة حتى أُسندت له رئاسة تحرير جريدة البصائر* بعد ست سنوات من تأسيسها[5].

كان الشيخ مبارك الميلي شخصية إصلاحية تجديدية مبدعة ذات وزن كبير بين جماعة المصلحين الجزائريين، كما كان من أكبر دعاة الإصلاح المعروفين بإنتاجهم الفكري الغزير في شتى

---

[1]– عبد الكريم بوصفصاف، رواد النهضة والتجديد في الجزائر (1889-1965)، طبعة منقحة، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، 2007، ص100.

[2]– أحمد عيساوي، أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، ط1، دار الكتاب الحديث، 2012، ص101.

[3]– عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ج2، ص349.

[4]– محمد الميلي، المرجع السابق، ص329.

*– البصائر: تعد من أهم الجرائد العربية في الجزائر تغيرت إدارة الجريدة بعد توقيفها، فأصبحت بيد محمد البشير الإبراهيمي ومبارك الميلي صدر العدد الأول منها للسلسلة الثانية في 07 رمضان 1366هـ الموافق لـ 1947/11/25م بمدينة الجزائر وكانت تطبع بالمطبعة العربية التي يملكها الشيخ أبواليقضان، كانت تعالج موضوعات ذات إتجاه وطني سواء على المستوى الداخلي والخارجي، توقف صدورها في 1956/04/06م بعد أن صدر منها حوالي 366 عددا ينظر: محمد بن ناصر صالح، المرجع السابق، ص268.

[5]–علي مراد ، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، تر. محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص106.

ميادين الحياة العلمية السياسية الأدبية والإجتماعية[1]، فساهم بقلمه في النضال السياسي وأظهر نشاطا بارزا فيه وكان أحد أبرز الطاقات التي قامت عليها الحركة الإصلاحية بصفة خاصة من خلال ما أجال قلمه البليغ في ميادينها[2] ، فترك الكثير من المقالات والدراسات والأبحاث الصحفية المنشورة في صحف ومجلات الجمعية (الشهاب* والبصائر) كما ترك العديد من المؤلفات أشهرها:

تاريخ الجزائر في القديم والحديث: يحتوي على ثلاثة أجزاء، أُنجز الجزء الأول وهو يتناول تاريخ الجزائر القديم وقد طبع سنة 1928م، ويعالج الجزء الثاني تاريخ الجزائر في العصر الإسلامي وقد تم طبعه سنة 1932م، أما الجزء الثالث فيدرس تاريخ الجزائر الحديث في العهد العثماني وقد طُبع بعد إسترجاع إستقلال الجزائر.

رسالة الشرك ومظاهره: يعد هذا الكتاب من أهم الآثار التاريخية التي قدمها الميلي للمكتبات العربية، فهو عبارة عن مجموعة من المقالات التي كتبها في الشهاب والبصائر، والتي تتعلق بالشرك ومظاهره وتأثيراته السلبية على الدين الإسلامي وعلى الفرد والمجتمع، وبهذا إستطاع أن يجمع هذه المقالات ويطبعها في كتاب واحد أسماه "رسالة الشرك ومظاهره" ثم تقدم به للمكتب الدائم لجمعية العلماء لطباعته[3].

أما مساهمته في الميدان الصحفي فتجلت في تحريره للعديد من المقالات في الجرائد والصحف حيث كان أهمها مايلي:

- نأمل ونأمل: طبع في غرة رمضان 1336م الموافق لـ 05-11-1937م.
- صيام رمضان ووداعه طبع في 22 رمضان 1336هـ الموافق لـ 26-11-1937م.
- السنة الثالثة من البصائر: طبع في 06 شوال 1336م الموافق لـ 10-12-1937م.

[1]- عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص103.

[2]- عادل نويهض، المرجع السابق، ج2، ص351.

*- الشهاب: جاءت على أنقاذ جريدة المنتقد بعدما عطلتها السلطات الإستعمارية أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، برز العدد الأول منها في 12 نوفمبر 1925م حتى إذا قامت الحرب العالمية الثانية سنة 1939م، صدر أمر الوالي العام بتعطيل العدد شهر أوت 1939م وهو آخر عدد يصدر عنها ينظر: محمد بن صالح ناصر، المرجع السابق، ص 64.

[3]- أحمد عيساوي، المرجع السابق، ص196.

- المغرب أو إفريقيا الشمالية: في 13 شوال 1336هـ الموافق لـ 17-12- 1937م.
- جمعية العلماء بين الأمة والحكومة: 20 شوال 1336هـ الموافق لـ 24-12- 1937م.
- الحياة للعلم: 22 جمادى الثانية 1337هـ الموافق لـ 19-08-1938م.
- الإجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 05شعبان1337هـ الموافق لـ 30-09-1938م[1].

توفي مبارك الميلي بعدما أتعبه مرض السكري وإرتفاع ضغط الدم، يوم الخميس 26 صفر 1364هـ الموافق لـ 09 فبراير 1945م، وحضر جنازته الآلاف من محبيه يقودهم البشير الإبراهيمي والعربي التبسي.

2-كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث":

ألف مبارك الميلي كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" في زمن التحضيرات لإحتفالات المائة سنة 1930م لإحتلال الجزائر، عندما أقام بالأغواط في وسط بدوي (1927م-1933م) لأسباب إختُلف في تفسيرها، والتي تراوحت بين الهدف الدعوي من خلال توزيع الشيخ ابن باديس لتلامذته على مختلف مناطق التراب الوطني، وبين الدعوة التي يكون قد تلقاها الميلي من طرف عبد العزيز بن الهاشمي شيخ الطريقة القادرية*، الذي إقترح على أعيان مدينة الأغواط، دعوة الميلي للإستفادة من دروسه ونشاطه التعليمي[2].

يعد كتاب الميلي أول كتاب أرخ للجزائر منذ العصر القديم إلى الحديث وقد بذل صاحبه مجهودا كبيرا لإخراجه إلى النور بالرغم من الظروف التي كانت تحيط به، خرج الكتاب إلى العلن في حين إعتقد الكثير أن الجزائر لن تعود إلى الحضن العربي الإسلامي، لأن اللغة الفرنسية توغلت

[1] – عبد الكريم بوصفصاف، رواد النهضة والتجديد في الجزائر (1889-1965م) المرجع السابق، ص110 .

*– الطريقة القادرية: تعد من أقدم الطرق المعروفة والمنتشرة في الجزائر، تأسست في القرن الحادي عشر ميلادي على يد عبد القادر الجيلاني وتتضمن مبادئها نوعا من القدرية (الإيمان بالقدر ولكن دون تعطيل دور الإنسان في الأفعال). ينظر: علاوة عمارة، الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع رقم 03- 12– 2008، ص100. وأبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص513.

[2] – علاوة عمارة، المرجع نفسه، ص97.

وتغلغلت في الوسط الجزائري، بل حتى في العقول وخاصة المدن، فجاء الكتاب ليدحض هذه الأباطيل[1]، كما إستخدم طريقة جديدة في كتابة التاريخ، وهي التبويب وتقنيات البحث الحديثة والتي بقيت خطوطها العامة تلهم المؤرخين الجزائريين وخاصة منهم الكاتبين باللغة العربية، فإستعان الميلي في كتابه على مترجمين، ويدل التوزيع الجغرافي لهؤلاء على وجود عيسى الزهار في الأغواط، محمد التهامي بميلة، عمر دهينة المعلم والرسام بالإدارة الفرنسية، والشاب أحمد توفيق المدني[2].

كمحاولة من الميلي لكتابة تاريخ وطني مغاير للصورة التي أعطتها له الكتابات الفرنسية صدر الجزء الأول من كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" سنة 1347هـ الموافق لـ 1928م بقسنطينة محدثاً حركة غير مسبوقة في أوساط المجتمع الجزائري[3]، جاءت واجهة الكتاب بلون بني ناصع ذات غلاف جيد كتب في أعلاها إسم المؤلف "مبارك بن محمد الميلي" يليها العنوان بخط عربي مزخرف وواضح "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، صححه وقدمه محمد الميلي الصادر عن المؤسسة الوطنية للكتاب إنتهى عند الصفحة 380، استهله بإهداء إلى الشعب الجزائري وشكر للأصدقاء والمترجمين[4]، ثم نجد فيه رسالة من الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى المؤلف يشيد فيها بالكتاب، ثم نجد رسالة من شكيب أرسلان يعبر فيها عن مدى إندهاشه وإعجابه من تاريخ الجزائر المخفي عن الكثير من الناس وأتبعه بشكر واعتذار عن تأخر الجزء الثاني[5].

سمى الميلي أحد أقسام المؤلف بالكتاب الأول ولعله يقصد الفصل الأول أو القسم الأول وعنونه بـ "في تاريخ الجزائر قبل الإستيلاء العربي" بدأ عمله بجغرافية الجزائر الطبيعية مع ذكر بعض المناطق الأمازيغية القديمة "كمسيسيليا ومسيليا وجيتولية"* مع ذكر الحدود والمناخ، هذا كما قدم في

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج7، ص409.

[2]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3 ، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص أ.

[3]- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص97 .

[4]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق.تص. محمد الميلي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب ت، ص05 .

[5]- المرجع نفسه، ص13.

*- مسيسيليا تمثل سهول سطيف وبرج بوعريريج إلى وادي ملوية غربا تعرف بموريتانيا الشرقية، ومسيليا وهي باقي عمالة قسنطينة وغرب عمالة تونس إلى طبرقة تعرف بنوميديا، وجيتوليا وهي جنوب موريتانيا تضم الصحراء إلى المحيط الأطلسي. ينظر: مبارك الميلي، المرجع السابق، ج1، ص45.

الباب الأول ذكر قدماء الجزائر (أهل العصر الحجري) وأصلهم وآثارهم وحياتهم، مع ذكر البربر والفينيقيين مرورا بالإحتلال الروماني والوندالي والبيزنطي[1].

صدر الجزء الثاني من الكتاب سنة 1932م وهو يعالج التواجد العربي في شمال إفريقيا، فالباب الأول عنونه بغزو العرب لإفريقية، ولا ندري لماذا أسماه غزوا أهو خطأ وقع فيه الكاتب أم سماه غزوا لأن البربر إستماتوا في قتالهم ضد المسلمين العرب، وقد ذكر المؤلف جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده ومجيئهم إلى إفريقيا وتأسيس الدول كالرستمية (776م-909م)، الإدريسية (788م-923م) والأغلبية (800م- 909م)، والعبيدية (909م-972م) ونزوح الملايين إلى المغرب[2].

أما الكتاب الثالث فكان نصيبه للدول البربرية كالدولة الحمادية (1014م- 1153م)، المرابطية (1079م- 1145م)، الموحدية (1145م-1369م)، الحفصية (1229م-1536م) والزيانية (1235م-1554م) والمرينية (1269م-1393م)، جاء هذا الجزء في 513 صفحة تكلم فيها الكاتب بجزئية عن هذه الدول التي لم تعمر طويلا وسرعان ما سقطت لظروف مختلفة أحيانا ومتشابهة أحيانا أخرى[3].

أما فيما يخص الجزء الثالث فيذكر محمد الميلي أن والده لم يستطع مواصلة كتابة هذا الجزء، حيث ترك له حوالي 20 ورقة نظرا للصعوبات التي إصطدم بها، ومنه جاءت تكملة هذا الجزء والذي يمثل العصر "التركي" في الجزائر[4]، فبدأه بالإعتداءات الإسبانية على السواحل الجزائرية ثم إحتلالها ونتيجة لذلك تم الإستنجاد بالإخوة عروج، ثم قسم هذا الجزء إلى عهود أو فترات كحكم البايلربابات وعهد البشاوات، والأغوات وعهد الدايات، مع التعريج على العصر الذهبي للبحرية الجزائرية، وذكر المحاولات الفرنسية لإحتلال الجزائر، ليختم بالإدارة الجزائرية في العهد التركي وكيفية سقوط النظام التركي لينتهي هذا الجزء عند الصفحة 333[5].

---

[1] – مبارك الميلي، المرجع السابق، ص– ص 39- 378.

[2] – نفسه، ج2، ص05.

[3] – نفسه، ص– ص 19 - 504.

[4] – نفسه، ص07.

[5] – نفسه، ص– ص 20 - 305.

رغم هذا الجهد الكبير إلا أن الميلي قد إعترف بالمشاق التي لازمته طوال فترة إعداد الكتاب منها معاناة المنهجية لكتابة تاريخ عصري، وغموض وقلة المادة الخاصة بالتاريخ الجزائري، وعدم التمكن من القراءة بالفرنسية، كل هذه العراقيل لم تثبط من عزيمة صاحب "تاريخ الجزائر" الذي صحح الأعلام، وجمع المواد وأوضح الأغراض التاريخية وقرب الأسلوب من "النهج التاريخي"، وقد قوبل هذا الكتاب بفخر وإعتزاز من قبل رواد الحركة الإصلاحية خصوصا ابن باديس تمنى تسميته بحياة الجزائر، والذي إعتبره بمثابة أول كتاب صور الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية بعدما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك[1].

3- القيمة السياسية للكتاب:

يتضح من خلال صفحة إهداء "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، أن المؤلف أراد تأليف كتاب مرجعي أهداه إلى الشعب الجزائري، في زمن سيادة النموذج الديمقراطي رافضا فكرة الدولة الملكية التي عرفتها الحقب القديمة، فهو بلاغ للشبان عن وطنيتهم، وهو دليل على المزج بين الفن والعلم والتاريخ والوطن، ويضيف الميلي بقوله: "... فلم يحملني على الخوض في هذا الموضوع الهام غير الشعور بواجب خدمة الوطن، وقراءة العربية طالبا من أهل المقدرة والدراية أن لا يجهلوا كبر ما عليهم من المسؤولية أمام الوطن والعربية، وأن لا يجعلوا بتفريطهم في نشر هذا الفن حظ الجزائر منقوصا مغبونا فمن آنس من نفسه الكفاءة ووجد من الوقت سعة فلا يبخل على بني جلدته وليبذل في سعادتهم ما في إستطاعته..."[2]، ويقول المؤرخ "شارل أندري جوليان Charles André Julien" في كتابه "إفريقيا الشمالية:"...كان العلماء هم الذين أيقظوا الرأي العام الأهلي من سباته ولهم مذهب ديني قد يصلح أساسا لمطامح الوطنية...".

أثبت الميلي بتأليفه هذا أن الأمة الجزائرية لم تمت وأنها لا تزال متمسكة بماضيها العربي الإسلامي ولم يؤلف مبارك كتابه رغبة في التأريخ فقط، بل ألفه بدافع سياسي وطني يهدف من خلاله الرد على إدعاءات الفرنسيين القائلة بأن الرومان جلبوا الخير للبلاد، وأن العرب هم الذين عملوا على

[1] – علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 98.

[2] – نفسه، ص 100 .

تخريبها[1]، ومن أجل ذلك ورغبة في تجميع ما تفرق من أخبار عن التاريخ الجزائري عبر العصور، عمد الميلي إلى تدوين هذا العمل الهام لكي يؤثر نفسيا وروحيا وأخلاقيا على الجزائريين[2]، ومنه تطرق إلى ذكر حدود الجزائر السياسية وهي إشارة على أن هناك دولة كانت قائمة بنفسها ولم يغفل الميلي عن ذكر بعض الشخصيات والأبطال للأمازيغ مثل يوغرطة لكي يذكر للجزائريين أن أجدادهم كانوا محاربين ومدافعين عن بلادهم من خطر الرومان.

دخل الميلي ميدان الكتابة التاريخية (التأليف) من زاوية الهواية النضالية، وهذا يوحي لنا أنه بذل جهدا كبيرا في تطوير الحقائق، ومحاولة إعطاء كتابه صبغة سياسية تاريخية يهدف من خلالها إلى خدمة الوطن والعربية، ومن خلال ذكره للرومان وحكومتهم في الجزائر أراد الميلي أن يذكر الجزائريين أن ما عاناه أجدادنا من قهر وظلم وجور على يد الرومان، هو نفسه التسلط والتشدد الذي يعانيه الشعب على يد الفرنسيين، والسياسة التي تتبعها إدارة الإستعمار الفرنسية في الجزائر، هي صورة طبق الأصل لسياسة الرومان القديمة، وكما سقطت مملكة الرومان من الجزائر وتقلصت إلى حجمها الطبيعي، فالأمر كذلك سيحدث للفرنسيين لا محالة.

وضع الميلي في كتابه المؤشرات العامة للنهضة الإصلاحية والسياسية وذلك بخطابه للشعب وحكمه على الإستعمار الروماني وغيره على الجزائريين عبر العصور، وبهذا يصبح الكتاب كرسالة لتنبيه الغافلين، ودعوة الشباب والعاملين إلى مواصلة الجهد والتأكد من أن الأمة الجزائرية ليست جزء من الأمة الفرنسية ولا متأثرة بالوجود الروماني، وليست أرضا دون رعية وبهذا يصبح الكتاب بمثابة المشروع الوطني منذ ظهوره، وهو يمثل نقلة نوعية ومبادرة جديدة في مسار العمل الوطني.

المبحث الثاني: فرحات عباس وكتابه "الشاب الجزائري Le Jeune Algérien".

تميز العمل السياسي بالجزائر مع مطلع القرن العشرين، بمشاركة العديد من الشخصيات الفكرية التي تنتمي إلى تيارات مختلفة، من حيث قناعاتها الإيديولوجية المتباينة في مظاهر ووسائل عملها، وفي طرحها لمعالجة المسألة الوطنية، ويعد ميدان التأليف التاريخي، أحد أبرز هذه الوسائل التي

[1] – عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1883، ص88.

[2] – المرجع نفسه، ص190.

تمكنت من إحياء تنظيمات سياسية كان لها وزنا وتأثيرا سياسيا في مسار الحركة الوطنية منهم فرحات عباس، وعليه فمن هو رائد هذا النشاط السياسي؟ وفيما يكمن نشاطه في تطوير الحركة الوطنية؟

1- سيرته الذاتية (1899م – 1931م) :

ولد عباس المكي فرحات يوم 24 أوت 1899م بدوار الشحنة بالطاهير[1]، ينتمي إلى أسرة فلاحية كانت تسمى "ابن الضاوي"، إستقرت منذ قرنين بإحدى قرى بلدية الطاهير بجيجل، عاصر جده"أحمد" مأساة الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، وما تبعها من توسع للقوات الإستعمارية حيث إستقر الكولون منذ سنة 1875م بها فاِستحوذوا على أراضي الجزائريين وخيراتهم[2]، ويقول عباس المكي في هذا الشأن: "...عندما ولدت كان تجريد الجزائريين من ممتلكاتهم قد تحول إلى حقيقة واقعة وكان النظام الإستعماري مهيمنا على الجزائر فسكانها يعيشون الفقر المتقع، يحاولون تضميد جراحهم والإفلات من قبضة الفناء المادي، والإنحلال المعنوي وكان الفلاحون يتشبثون بالأرض بشكل يائس ويئنون تحت عبئ البؤس والإضطهاد..."[3].

كان أبوه يسمى "سعيد" عرف عنه حبه للعلم، ومجالسته للعلماء ومناقشته لهم في العديد من الأمور الدينية رغم جهله وصعوبة الحياة التي كان يعيشها، أما أمه فهي "عاشورة معزة" بنت علي، وهي الأخرى تنتمي إلى عائلة فلاحية من قبيلة بني عمران، إشتهرت عائلتها بتعليم القرآن الكريم وإمامة الناس وفك النزاع بين المتخاصمين[4]، عاش سعيد والد فرحات حياة صعبة خلال نشأته مما دفعه إلى حث أبنائه على التعلم ومزاولته الدروس بدءا بالقرآن الكريم في الكتاب، ثم المدرسة الإبتدائية الأهلية بالطاهير، ثم المعاهد والكليات وكثيرا ما ردد أبوه بأن الإرث الذي يتركه لهم ولا ينازعهم فيه أحد هو العلم، وبأن خير صديق للإنسان هو الكتاب، وهذا ما تحقق فعليا بحيث ورث

[1] – حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2001، ص10.

[2] – محفوظ قداش وجيلالي صاري، المقاومة السياسية 1900- 1954م الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، تر. عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص190.

[3] – بسام العسيلي، الصراع السياسي على نهج الثورة الجزائرية، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1982، ص ص 88- 89.

[4] – عبد الحفيظ بوعبد الله، فرحات عباس بين الإدماج والوطنية 1919- 1962م، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف يوسف مناصرية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006، ص26.

الإبن الأكبر منصب أبيه كقايد للدوار، والثاني أحمد عمل متصرف بلدي وفرحات صيدلي، أما الرابع فهو حميد الذي قيل عنه أنه تمتع بذكاء خارق وطباع صادقة، درس الحقوق بباريس وتوفي بمرض عضال سنة 1931م بفرنسا، ومحمد الصالح أنهى دراسته في العلوم الفلاحية واستقر بالطاهير[1].

تزوج فرحات عباس سنة 1933م بجزائرية من بلدته جيجل، تسمى "فاطمة الزهراء خلاف" وأنجب معها ولدا عاش بضعة أشهر فقط ثم توفي سنة 1936م، وهو الإبن الوحيد لفرحات المكي، عاشت معه زوجته هذه 13 سنة، ثم تزوج الثانية وهي أرملة فرنسية مولودة بالجزائر إسمها "مارسيل ستوزيل Marcelle Stoetzel "[2].

تحصل فرحات عباس سنة 1921م على شهادة البكالوريا، وإستُدعي بعدها لأداء الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، ليلتحق بعدها بالجامعة التي سجلت منعطفا في حياته لأنها أكسبته وعيا عميقا بحقيقة التفاوت الإجتماعي الواضح بين الطلبة المسلمين وغيرهم حتى الأوربيين، ومن هنا تبنى هموم المثقفين المسلمين ويقول عباس المكي في هذا الصدد "إن الظلم ينتج في الحياة النفسية تحولات سريعة ونهائية"[3].

عبر عباس عن مواقفه السياسية المنتقدة للنظام الإستعماري من خلال المقالات التي كان ينشرها في جريدة الإقدام* وجرائد الشبان الجزائريين وبهذا أذاع صيته بين الشباب، وأصبح مثالا لطموحهم الإجتماعي فعين رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بجامعة الجزائر سنة 1926م، ثم نائبا لرئيس جمعية مسلمي شمال إفريقيا**، ثم رئيسا لها بين 1927م و1931م[4]، ومن ثمة أصبح رجل

---

[1]- نفيسة دويدة، تطور فكرة الوطنية الجزائرية عند فرحات عباس 1927- 1955م، مذكرة ماجيستير في التاريخ، إشراف عمار بن سلطان، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 2005، ص08.

[2]- عبد الحفيظ بوعبد الله، المرجع السابق، ص28.

[3]- عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال 1899-1985م، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري قسنطينة، 2005، ص48.

*- الإقدام: جريدة أسبوعية تصدر باللغة الفرنسية بمدينة الجزائر، كانت تعنى بإنشغالات المسلمين، أسسها الأمير خالد في 1919م وترأسها بعده حاج عمار. ينظر: محمد بن صالح الناصر، المرجع السابق، ص53.

**- جمعية طلبة مسلمي شمال إفريقيا: هي الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في إفريقيا الشمالية، تأسست سنة 1918م بالجزائر وضمت طلابا من جامعة الجزائر فكانت تخضع بذلك لنظام الجامعات الفرنسية، ترأسها في البداية بلقاسم بن حبيلس، شعارها كتب عليه أخوة ورسم أسفلة هلال وثلاث نجمات، ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج3، ص105.

[4]- نفيسة دويدة، المرجع السابق، ص20.

سياسي، عارض النظام الكولوينالي الفرنسي في الجزائر وكافح من أجل تحسين الأوضاع العامة للمجتمع المقهور ماديا ومعنويا، متأثرا بأفكار الأمير خالد* التي تسعى إلى التحرر السياسي والثقافي والإجتماعي والإقتصادي للجزائريين المسلمين دون التخلي عن أحوالهم الشخصية[1]، ويعزز قوله بـ: "...إنه يمكن للشخص أن يكون العدو اللدود لفرنسا الإستعمارية ويبقى الصديق المخلص لها..."[2].

إهتم المكي عباس بالسياسة متأثرا بالقيم التي غرسها فيه معلموه وأساتذته، من خلال دراسته لكتب كبار المفكرين والأدباء الفرنسيين الذين كتبوا عن مبادئ الجمهورية والبرجوازية والليبيرالية، وتجسدت تلك التأثيرات من خلال نشاطاته الطلابية أو السياسية فيما بعد، ولذلك يجمع كل الدارسين لشخصية عباس السياسية على أن حياته قد قسمت إلى ثلاث مراحل، مرحلة البحث عن وطن داخل فرنسا ومرحلة البحث عن وطن مع فرنسا، وأخيرا مرحلة البحث عن وطن خارج فرنسا، ويؤكد "جان لاكتور Jean Lacouture" في هذا المجال بقوله: "...إن حياة فرحات عباس كلها إنما هي قصة البحث عن وطن في فرنسا أولا ثم مع فرنسا ثم خارج فرنسا بل ضد فرنسا، إلا أنه على طول هذه الطريق يظل وريث بعض التقاليد السياسية الفرنسية[3].

مما لاشك فيه أن النضال السياسي لفرحات عباس يزخر بكم هائل من الإنتاج العلمي، وتجلى ذلك في إخراجه للعديد من الكتابات والتي شملت العرائض، التقارير الرسائل، والمقالات الصحفية التي نشرت طوال الفترة 1922م-1955م ونذكر منها:

- مقالات الشاب الجزائري بين 1922م-1927م والتي جمعت لتصبح فيما بعد في كتاب تاريخي نشر سنة 1931م.

*- ولد بدمشق في 20 فيفري 1875م، إنتقل مع والده إلى الجزائر دخل الكلية العسكرية الفرنسية وتخرج برتبة نقيب سنة 1907م، تحول بعد تقاعده للعمل السياسي، مؤسس جريدة الإقدام، توفي سنة 1936م. ينظر: بسام العسيلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار النفائس، ط2، بيروت، 1984، ص ص09- 10.

[1]- المرجع نفسه، ص124.

[2]- فرحات عباس، الجزائر من المستعمرة إلى المقاطعة (الشاب الجزائري)، تر. أحمد منور، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص16.

[3]- عز الدين معزة، المرجع السابق، ص52.

- سلسلة المقالات في جريدة "L'entente Franco Musulmane "ما بين 1935م-1939م.
- التقرير إلى المارشيال بيتان 1941م بعنوان "L'Algérie Du Demain".
- البيان الجزائري ومقالاته في جريدتي"Egalite" ما بين 1944م-1948م و" République Algérienne" 1948- 1955م.

أما فيما يخص الكتابات الأكاديمية فتمثلت فيما يلي:

- الشاب الجزائري " Le Jeune Algérien " 1931م.
- ليل الاستعمار "La Nuit Coloniale 1962م.
- تشريح حرب "Autopsie d'une Guerre"[1] .

تمثلت المفاهيم التي عالجها عباس في إطار إشكالية "كينونة الجزائر"بتبني مطالب معينة في كل مرحلة كان أولها مطلب"الإندماج والأخوة" بين الطرفين الجزائري المسلم والفرنسي ورأى أنه في الطبيعة يتآخى الإنسان مع أخيه في الضراء أين يسود بينهما الإحترام ورأى في الأخوة برنامجا للمستقبل[2].

2- كتاب "الشاب الجزائري":

الكتاب هو عبارة عن مجموعة من المقالات التي كتبها فرحات عباس في جريدة الإقدام للأمير خالد، وجريدة التقدم* للدكتور بلقاسم بن تامي خلال فترة الخدمة العسكرية له في الجيش الفرنسي سنة 1922م، وكتب المقالات الأخرى أثناء دراسته في الكلية المختلطة للطب والصيدلة بمدينة الجزائر[3]، تحت إسم مستعار هو"كامل بن سراج"، وقد كان لهذا الإختيار بعده السياسي والتاريخي، فإسم كمال أو"كامل" يرمز إلى كمال أتاتورك، الذي طرد جيوش الإحتلال من بلاده وأحرز إعجابا لدى الجزائريين، وأصبح صدر إلهام لهم، أما الإسم الثاني"ابن سراج" فيمثل قمة إنهيار الحكم العربي الإسلامي في الأندلس لملك عربي لم يدافع عن حكمه كالرجال، ولجأ إلى المغرب فارا من المسيحيين

[1] - عز الدين معزة، المرجع السابق، ص59.

[2] - نفيسة دويدة، المرجع السابق، ص80 .

*- جريدة التقدم: لسان حال الإتحاد الفرنكو - إسلامي صدرت بالجزائر مرتين في الشهرين باللغتين وهي خليفة جريدة الإقدام إبتداءا من ماي 1923م ولم يحدد تاريخ إختفائها. ينظر: محمد بن صالح ناصر، المرجع السابق، ص57.

[3] - فرحات عباس، الجزائر من المستعمرة إلى المقاطعة "الشاب الجزائري"، المصدر السابق، ص05.

وكان معظم وقته يقضيه باكيا على حكمه الضائع، وعن أسباب إختياره لهذا الإسم المستعار هو خوفه من إدارة الإحتلال، إذا إكتشفه بأنه يمارس السياسة سوف تقطع عنه المنحة الدراسية وتفصله عن الدراسة[1].

إستطاع فرحات عباس أن يجمع هذه المقالات في كتاب واحد، طبعت منه 1000 نسخة ونشرت سنة 1931م في الخفاء بمدينة الجزائر تنديدا على إحتفالات الذكرى المئوية الأولى للإحتلال الفرنسي للجزائر، جاء الكتاب في نسخته الأولى باللغة الفرنسية، وهو يحتوي على 117 صفحة لونت واجهته الخارجية باللون الأخضر وكتب في أعلى الواجهة إسم المؤلف "Ferhat Abbas" وفي وسط الواجهة كتب عنوان الكتاب بخط فرنسي عريض وهو"Le Jeune Algérien" واستهله صاحبه بقول "لباسكال Pensées Pascal"، لماذا تقتلني؟ ماذا؟ إنك لا تسكن الضفة الأخرى للبحر، صديقي إذا كنت أسكن هناك فأنا سفاح وهذا ليس عدلا لكن مادمت أسكن هنا فإنني شجاع وطيب وهذا عدل[2]، وإحتوى الكتاب على خمسة عناوين رئيسية تطرقت إلى مايلي:

- الخدمة العسكرية للأهالي الجزائريين.
- هجرة العمال الجزائريين إلى فرنسا.
- المثقف المسلم في الجزائر.
- مأساة الأمس وغموض الغد.
- العدالة والنزاهة أولا والسياسة بعد ذلك.

إنطوت تحت هذه العناوين الأساسية مجموعة من العناصر الثانوية التي لعبت دور التحليل والتوضيح لمجمل الأحداث والأفكار التي حملتها العناوين الرئيسية، ويوضح الكتاب بصيغته التي كتب بها سياسة الإندماج، وإلغاء الإحتلال وربط الجزائريين مباشرة بفرنسا، بعد منحهم جميعا الجنسية الفرنسية، ويرد فيه كذلك على غلاة الإحتلال الذين كانوا يرون بأن الجزائريين المسلمين هم فئة

[1] -Ferhat Abbas , le jeune algérien , impression ANEP , Alger, 2009, p 65

[2] – فرحات عباس، الشاب الجزائري ، المصدر السابق ص 13 .

متخلفة غير قابلة للتطور، فيلقي اللوم على الإحتلال الذي أهمل الجزائريين المسلمين ولم يفتح أمامهم المدارس.

أعيد طبع الكتاب سنة 1981م مرفوقا برسالته إلى الماريشال "فليب بيتان Philippe Pétain" سنة 1941م، وبرر الكاتب إعادة طبع الكتاب للمرة الثانية أثناء مرحلة الإستقلال، وذلك من أجل إطلاع الشباب الجزائري على فكر فرحات عباس السياسي في بداية نضاله، ثم صدرت ترجمة للكتاب من قبل الدكتور أحمد منور وتقديم للأستاذ أبو القاسم سعد الله، تكلف بنشره المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، جاء الكتاب المترجم تحت عنوان: الجزائر من المستعمرة إلى المقاطعة "الشاب الجزائري" 1930م، متبوع بتقرير إلى المارشيال "بيتان" أبريل 1941م وهو يحتوي على 205 صفحة، إختلف محتواه عن الكتاب السابق بإضافة قسم للتقرير الذي أرسل إلى بيتان[1] .

ومن أهم الموضوعات التي عالجها عباس في مؤلفه "الشاب الجزائري" نجد موقفه من الإحتفالات المئوية لإحتلال الجزائر، بحيث بدأ المحتلون يحضرون لإحتفالات الذكرى المئوية للإحتلال الفرنسي للجزائر منذ سنة 1927م، وكان الهدف من هذا الاحتفال هو الفرح بالإحتلال الذي قضى على الدولة الجزائرية التي كان وجودها مصدر إحراج لأوربا خلال ثلاثة قرون، وقد دام الإحتفال أكثر من ستة أشهر بدأ في جانفي وإنتهى في 05 جويلية 1930م[2] بقيادة الحاكم العام "بير بورد Pierre Bordes" الذي تولى الإشراف على الإحتفالات المئوية كونه كان متطرفا وحقودا على المسلمين الجزائريين وفخورا بالأعمال الإجرامية، التي إرتكبها الإحتلال الفرنسي ضد الجزائريين المسلمين، فأحيا جراح الماضي، وأثار الأحقاد بين المحتلين والجزائريين[3].

اشتملت هذه الإحتفالات على برامج ضخمة من معارض وإستعراضات ومحاضرات وألعاب وأفلام سينيمائية، ونشر حوالي 532 بيان إشهاري لهذه الإحتفالات، وفي ماي 1930م زار رئيس

[1] – فرحات عباس، الشاب الجزائري، المصدر السابق، ص– ص147-159.

[2] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج2، ص324.

[3] – يحي بوعزيز، الإتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص49.

الجمهورية الفرنسية "بول دومير Paul Doumer" الجزائر فألقى خطابا أمام سلطات الإحتلال وزار قصر المعارض وحضر الحفل العسكري بالخروبة، ثم إنتقل إلى بوفاريك ليدشن بها تمثال النصر الفرنسي تحت أصوات البارود، كونه يبرز أبطال الإحتلال (المجرمون) كما بنى المستعمر تمثالا رمزيا للجنرال "لامورسيير Lamoricière " تحضيرا للإحتفالات وهو الآخر نال زيارة الرئيس الفرنسي له.

خلال هذه الإحتفالات المئوية كان فرحات لازال طالبا بالجامعة ورئيسا للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، فطلبت منه إدارة الإحتلال إلقاء كلمة بمناسبة الذكرى، فرفض أن يشارك في إحتفالات تعتبر إهانة للجزائريين المسلمين، كونهم يفتخرون بإجرامهم في حق شعب طالب أن يعيش حرا في وطنه[1] واصفا ذلك بقوله: "البارحة مأساة وغدا الشك".

وفي سنة 1931م يؤكد بأن إحتفالات الذكرى المئوية للإحتلال الفرنسي للجزائر ستكون آخر إحتفالات هؤلاء المحتلين وآخر نشوتهم على أرض الجزائر، كما كان يدرك جيدا أن الإحتلال الفرنسي للجزائر قائم على الظلم والقهر والإستبداد، هذه المظالم لا تبني أُمما ولا دولا وصمت الشعب المنهزم لا يعني قبوله الظلم فهو ينتظر الفرصة المواتية لتحقيق أهدافه ومبتغاه الهادف بتحقيق النصر والحرية[2]، ويرد فرحات على الإحتفالات بقوله: "...هل من الضرورة إستحضار الماضي بعضلات باطلة؟ إن القرن الذي مر بالنسبة لنا هو قرن من الدموع والدم، نحن الأهالي الذين بكينا وسال دمنا... وأخيرا نتمنى من الله أن لا يعيد على الرجال ذلك القرن مع أمل أن نمر إلى أيام أحسن..."

لم يتوقف دور فرحات عباس برده على الإحتفالات المئوية وحسب، وإنما واصل نشاطه السياسي النضالي، وذلك من خلال مشاركته في المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول ليرمي بكل ثقله السياسي والفكري من أجل تحقيق جملة المبادئ والمطالب التي كان يسعى دوما إلى تحقيقها، وتجلى ذلك في هذا المؤتمر الخاص، الذي باشر أعماله من خلال دعوة الشيخ ابن باديس في شهر جانفي 1936م إلى عقد مؤتمر إسلامي، أما عباس فيذكر بأن فيديرالية المنتخبين المسلمين لولاية قسنطينة هي

[1] – حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، المرجع السابق، ص49.

[2] - Ferhat Abbas , op , cit, p29 .

التي دعت إلى عقد المؤتمر الإسلامي بمشاركة كل التيارات الإسلامية الجزائرية، الإشتراكيون، الشيوعيون، العلماء والفلاحون، لتحضير ميثاق من أجل المطالبة ببرنامج إصلاحي كامل[1].

وتم الإتفاق على عقد جمعية تحضيرية في يوم 06 جوان 1936م بنادي الترقي في مدينة الجزائر، وفي الغد يوم الأحد 07 جوان 1936م عقد المؤتمر الإسلامي الأول بحضور شخصيات من جميع التيارات الجزائرية وسمى البشير الإبراهيمي* هذا اليوم بـ"اليوم المشهود" نظرا لأهميته، وحضور عدد كبير من الجزائريين من مختلف الإتجاهات، أما المؤرخ "جلبير مينيه Gilbert Meynier " فقد إعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري، أول جبهة جزائرية تمكنت من جمع كل التيارات السياسية والفكرية الجزائرية، في إطار جبهة واحدة من أجل الضغط على إدارة الإحتلال لتحقيق بعض المطالب الإصلاحية[2]، قدم فرحات عباس في مداخلته برنامج فيديرالية المنتخبين المسلمين لولاية قسنطينة مشيرا بأن المؤتمر الإسلامي لم ينعقد بسبب نجاح الجبهة الشعبية، ولكن إنعقد بإرادة الجزائريين المسلمين وممثليهم، ونوه إلى سلوكيات بعض النواب الذين لا يستطيعون ممارسة السياسة إلا عندما يزول الخطر[3].

وإعتبر فرحات عقد المؤتمر الإسلامي ومطالبه بأنه يوم تاريخي من أجل مصلحة الجزائر، فهو يوم لا ينسى، حدث عظيم في تاريخ الجزائر، لأنه عبر حقيقةً عن طموح في جمع كل القوى الحية الجزائرية في إطار كتلة واحدة تكون لها الفعالية في الوقوف أمام وجه الإحتلال، فهو يؤكد دائما بأن مجموعة أو أفراد منفصلين لا يستطيعون فرض رأيهم على الإحتلال[4].

---

[1]- فرحات عباس، ليل الإستعمار، دار القصبة للنشر الجزائر، 2005، ص102.

*- البشير الإبراهيمي: من مواليد سنة 1889م بمنطقة سطيف وينتمي إلى بني إبراهيم يدين بفضل تعلمه إلى عائلته، في سنة 1922م أصبح مدرسا في المدرسة الأميرية، ثم جامع الأمويين في دمشق، أصبح عام 1931م نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين ليخلف بعدها إبن باديس سنة 1945م في رئاسة الجمعية رغم معارضة الإدارة الإستعمارية. ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص163.

[2]- حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص72.

[3]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج3، ص160.

[4]-عز الدين معزة، المرجع السابق، ص106.

3- القيمة السياسية للكتاب:

جاء كتاب الشاب الجزائري وهو يحمل شعور حاد بالكرامة التي جرحها الإستعمار وإحساس باللامبالاة والإحتقار، المسلط على المثقفين خاصة وعلى الإسلام عامة، لذلك جاءت موضوعاته تلخص فكرة ضرورة الإنتصار على الإستعمار قبل كل شيئ، وكان تنديده ضد الإحتفالات المئوية بمثابة النار التي إشتعلت في نفوس الجزائريين منبهة إياهم إلى لِم شملهم، وتصحيح أخطائهم، فهذه الإحتفالات أيقظت الأحقاد لمئة سنة مرت، وكأن الإحتلال يهدم نفسه بنفسه من خلال أفكاره وأفعاله الدنيئة.

كان "فولتير Voltaire" بمثابة فيلسوف الحرية والحب والتسامح، وإعتقد جازما أن الكنيسة هي إحدى أعداء عصر النهضة، أما فرحات عباس فسار على دربه وأثبت يقينا في كتابه هذا "...أن الكولونيالية هي ألد أعداء عصر النهضة..."، ويذهب من خلال قوله هذا إلى الدعوة للإقتداء بالفتوحات الإسلامية حتى تظهر بذور الحضارة والتقدم[1]، وقال أحد الفرنسيين عن الكتاب بأنه مؤلَف هام يعرفنا بتفكير وعقلية متطورة لشاب جذبه الغرب فأعجب به وإحترم فرنسا، لكنه ظل يحلم بالتغير الإجتماعي، وعزز "جون لاكوتير Jean Lacouture" قوله بأن محتوى الكتاب كان عظيما وناقما على الإحتلال، ومعبرا عن رغبة الشباب المسلم وهي المساواة في الحقوق والواجبات مع المحتلين، وإلغاء القوانين التعسفية ضد الجزائريين[2].

تتجلى مساهمة هذا الإنتاج التاريخي، في سيرورة الحركة الوطنية من حيث البعد الفكري الذي إحتوت عليه أقسامه المتعلقة بفلسفة المجتمع والدولة، من خلال المسار السياسي والنضالي الذي حمله صاحب المشروع، كونه شمل مثالية الفكر الجمهوري وواقعية المجتمع الجزائري، كما إرتكز على القيم الإسلامية الراقية، وفق تطور تدريجي إنتقل من المهادنة والإعتدال، إلى المواجهة والتطرف من غير عنف، ونستخلص من جملة ما قلناه أن هذا المشروع السياسي لفرحات عباس والمتمثل في تجربته الفكرية التأليفية أدت إلى إزدياد الوعي والحماس لدى فئة الشباب الجزائري، والتي أصبحت تؤمن

[1] – حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص31.

[2] –نفسه، ص32.

بإمكانية لعب دور في الحياة الإجتماعية والسياسية، ومنه أصبحت أفكاره المرجعية للحركة الوطنية مشروعا واضحا بجميع أبعاده الإجتماعية، الإقتصادية والسياسية.

بهذا يصبح الكتاب ذا قيمة علمية وتاريخية أماطت اللثام وكشفت الكثير من الحقائق على مسار النضال السياسي، الذي عرفته الجزائر خلال الفترة الإستعمارية الممتدة ما بين 1900- 1954م، وهنا يصرح صاحب الكتاب بقوله عن هذا المؤلَف: "مؤلَف أنجز على أمل، لكن هذا الأمل لم يتحقق" على أمل أن تتحول الجزائر المستعمرة إلى الجزائر المقاطعة تضمن حرية الإنسان المسلم، لكنه إستدرك بأن ذلك كان وهما لأن طبيعة الإستعمار لا تقبل بذلك، وهي القائمة على السيطرة والإستغلال.

المبحث الثالث: أحمد توفيق المدني وكتابه "كتاب الجزائر".

شهدت الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين ظهور مجموعة من العلماء والمفكرين الذين حملوا على عاتقهم مجابهة الجمود الفكري، وعملوا جاهدين على كبح المخطاطات الإستعمارية الفرنسية الهدامة لركائز المجتمع الجزائري، مستعملين عدة وسائل لإيصال رسائلهم الإصلاحية أبرزها الكتابة التاريخية، التي إتخذها توفيق المدني سلاحا يعبر به عن نضاله في سبيل القضية الوطنية، وعليه كيف ساهم المدني في زرع اليقضة الوطنية في الوسط الإجتماعي؟ وفيما يكمن دوره في تطور النشاط السياسي بالجزائر المستعمرة؟

1- سيرته الذاتية (1899م - 1983م):

ولد أحمد توفيق المدني يوم 16 جوان من عام 1899م، في تونس العاصمة بنهج الناعورة رقم04[1]، من أبوين جزائريين لاجئين إلى تونس هربا من بطش المستعمر الفرنسي[2]، إذن عائلة المدني هي من أصل جزائري، إسمها الحقيقي "بن عمر" نسبة إلى جدهم، أما والده فهو محمد بن أحمد المدني بن عمر القبي الغرناطي نسبة إلى غرناطة بإسبانيا[3] ، كان أبوه تاجرا ثريا، أما جده فقد

[1] – أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص13.

[2] – علي مراد، المرجع السابق، ص137.

[3] – الصديق محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، ج3، موفم للنشر، الجزائر، 2000، ص ص 12- 13.

شغل منصب أمين الأمناء شيخ بلدية مدينة الجزائر[1]، أما والدته فهي عائشة بنت عمر بويراز ابن المجاهد الكبير مصطفى بويراز، الذي كان قائد فريق الفرسان الجزائريين في معركة إسطاوالي الشهيرة 19 جوان 1830م، وهي من أصل تركي[2].

كبر أحمد المدني في بيت علم وثراء، فأمه كانت على قدر معتبر من الثقافة الإسلامية، وكانت تعتني بالقرآن والحديث حفظا وفقها[3]، وبهذا أصبحت نعم المدرسة في وضع الأسس التعليمية الأولى لمترجمنا هذا، ودخل توفيق المدني الكتاب في الخامسة من عمره، وفي سن التاسعة إنتقل إلى المدرسة القرآنية الأهلية بتونس العاصمة، وبعدها إلتحق بجامع الزيتونة سنة 1913م كطالب حر، أحب مطالعة الصحف التونسية التي كانت تنمي فيه الروح الإسلامية، مثل الراشدية والمنبر والإتحاد الإسلامي[4].

درس أحمد توفيق على يد شيوخ كبار، منهم محمد يوسف والصادق النيفر* ومحمد بن القاضي ومحمد شعبان ومعاوية التميمي، وفي نفس الوقت كان طالبا في المدرسة الخلدونية[5] **، وشكل مطلع القرن العشرين منعرجا هاما وتحولا في أساليب الكفاح، بتسجيل يقظة سياسية وطنية لدى مثقفي ومفكري القطرين الجزائري والتونسي، خدمتها مؤثرات قادمة من المشرق ومن العالم الغربي تتلخص في أفكار إصلاحية وتأثيرات ثقافية، وهذا ما ساهم في الرفع من مستويات الوعي الوطني، بظهور شخصية سياسية تراوحت مطالبها بين تحسين الأحوال وفك الإرتباط بالدولة المستعمرة.

---

[1]- مدني بشير، أحمد توفيق المدني معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية، ط1، وسام براس للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر، 1998، ص134.

[2]- الصديق محمد الصالح، المرجع السابق، ص49.

[3]- نفسه، ص113.

[4]- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 29.

*- الصادق النيفر: هو أبو الوفاء الصادق ابن الشيخ المدرس محمد الطاهر بن أحمد النيفر، ولد سنة 1883م، درس بجامع الزيتونة سنة 1895م توفي سنة 1938م ينظر: محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الظريف في حسن التعريف، تح.تع، محمد الشاذلي النفير، دار الغرب الإسلامي،ط1، 1994، ج3 ، ص125.

[5]- بوعلام بلقاسمي و آخرون، موسوعة أعلام الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007، ص 131.

**- المدرسة الخلدونية: أسسها البشير صفر برفقة الشيوخ سالم بوحاجب وعمر الشيخ وأحمد كريم، وينقسم التعليم بها إلى إبتدائي وثانوي وعالي، بهدف إدخال إصلاحات جديدة على التعليم بجامع الزيتونة، في سنة 1896م. ينظر: الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990، ص33.

وبحلول عام 1915م وأثناء الحرب العالمية الأولى تم إعتقال أحمد توفيق المدني بتهمة التحريض ضد فرنسا ليبقى في السجن حتى نهاية الحرب، وبسبب نشاطه السياسي وكتاباته الصحفية، تم إبعاده إلى الجزائر سنة 1925م حيث إستقر بمدينة الجزائر[1]، وبعدها تزوج من زكية بنت الزبير بن الأمين في شهر ماي من سنة 1929م ورزق بعدها بأربعة أبناء، ثلاث بنات هن سليمة ، حسيبة وفيروز، وإبن وحيد هو محمد إسلام[2].

إشتهر أحمد المدني بالذكاء والفطنة منذ صغره، ونظرا لحسن سلوكه والتمسك بمبادئ دينية، حظي بمنزلة بين رفقائه وأساتذته واستطاع أن يفرض نفسه على الساحتين السياسية والإعلامية، فهو من بين الشخصيات المؤثرة في مسار الصحافة التونسية[3]، وقد إعتمد توفيق المدني في أموره المادية على ما يتقاضاه شهريا من جريدة النجاح مقابل تحرير مقالات في السياسة الخارجية، بالإضافة إلى بعض العلاوات الممنوحة له من قبل الحزب الدستوري التونسي وكذا من والده[4].

إستطاع أحمد توفيق المدني أن يزاوج بين العمل الصحفي وحركة التأليف، فكانت البداية من تونس وذلك لعدة إعتبارات، كونه ولد ونشأ فيها وبالتالي أصبح تونسي الجنسية، مما سمح له بخوض غمار هذا النشاط على كافة الأصعدة[5]، وتجلى ذلك بمشاركته في تحرير جريدة الفاروق عام 1914م، ومقالاته القيمة المحاربة للبدع والخرافات المنتشرة في الدين الإسلامي، كما كتب عدة مقالات حول المرأة والنضال، وله مقال مؤثر جدا وبالغ الأهمية بعنوان "كيف ننقذ وطننا" صدر له في 27 أوت 1914م، أظهر فيه الأوضاع المزرية للشعب الجزائري في ظل الإحتلال الفرنسي وبالأخص اللغة العربية والدين الإسلامي[6].

---

[1] – عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983، ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري قسنطينة، 2006 -2007 ، ص 48 .

[2] – أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ص 143.

[3] –عبد القادر خليفي، توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983، المرجع السابق، ص 59.

[4] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 98.

[5] – بوضرياسة بوعزة، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 340.

[6] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج10، ص 576.

قام توفيق المدني بحركات نشيطة تمثلت في تأسيس الرابطة القلمية في عام 1924م، بالإضافة إلى نشاطه المسرحي الذي كان ينمي الروح الوطنية الإسلامية ويعالج قضايا الأمة التاريخية، كنكبة الأندلس وطارق بن زياد[1]، وبهذا يمكن القول أن هذه الشخصية تعتبر من الرجال البارزين ومن أصحاب الأقلام التي تشهد لها أعمدة الصحف بالمستوى الفني والجهوي لمواجهة الإستعمار، وهنا تبرز القيمة النضالية لهذه الشخصية الفذة، التي إستطاعت أن تحدث نهضة سياسية وثقافية ذات أفكار مشرقية بغية تحسين أحوال المجتمع الجزائري بأي حال من الأحوال، وجاء نشاطه أكبر في مجال الكتابة تجلى في مجموعة من المؤلفات نذكر منها:

- قرطاجنة في أربعة عصور أو تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، صدر عام 1927م بتونس.
- كتاب الجزائر: ظهر عام 1931م وجاء كرد فعلي على الإحتفالات المئوية الفرنسية لإحتلال الجزائر.
- محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766م-1791م، صدر عام 1937م إحتوى على 191 صفحة.
- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا صدر عام 1946م.
- جغرافية القطر الجزائري طبع بالجزائر سنة 1948م.
- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492م-1792م صدر بالجزائر سنة 1968م.
- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754-1830م، وهو عبارة عن تحقيق صدر في الجزائر عام 1974م.

2- كتاب "كتاب الجزائر":

جاء كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني كرد فعل مباشر على الإحتفالات المئوية الفرنسية 1930م، الجارحة التي أقيمت بالجزائر نتيجة مرور مائة سنة على الإحتلال، وبهذا المؤَلف عبر المدني عن معارضته الصريحة للطرح الفرنسي المزيف للتاريخ، واعتبره عنوانا لتجذر الوطنية الجزائرية في قلوب

[1] – بلقاسمي بوعلام وآخرون، المرجع السابق، ص 133.

الشباب[1]، ظهر الكتاب إلى الوجود في عام 1931م الموافق لـ محرم 1350هـ وإحتوى على 408 صفحة، جاءت واجهته برسم زخرفي مغربي أصيل، أبدع في رسمها خاصة ما تعلق بالإطار العام للواجهة، أما وسط هذا المبنى الزخرفي فكتب عنوان الكتاب وهو "كتاب الجزائر" بخط عربي كوفي ذو لون أسود، ثم جاءت في أسفله جملة تاريخية أعطى فيها مختصر عام لأهم مضامين الكتاب ويليه إسم المؤلف أحمد توفيق، رفع في الكتاب شعارات الهوية الوطنية بوضعه على الغلاف ثلاثية "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا".

زُين الكتاب بصورة تاريخية تعبر عن رمز من رموز الحارة الجزائرية، وشكل من أشكال البحرية القديمة، وهذه الصورة تعبر عن غاية، أو هدف أساسي يريد الكاتب أن يبرزه للعيان من أجل معرفة ماضي وتاريخ الجزائر القائم على المدَنية التاريخية، والوجود الحضاري العريق، ثم إستهل تأليفه بكلمة "بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ" تلاها دعاء جاء فحواه مايلي: "رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدَا"، ثم جاء أسفله مصطلح مستعمل وهو عبارة عن تمهيد أراد صاحب الكتاب من خلاله أن يشير ويوضح المعالم والسمات التي ألف من أجلها الكتاب، وإعتبرها بمثابة الرسالة المشفرة للشباب وتجلى ذلك من خلال قوله: "إليكم أيها الشبان المسلمون في أرض الجزائر الكريمة أتقدم بهذا الكتاب".

إستطاع المدني أن يقسم كتابه إلى أربعة عشر قسما، يمكن تصنيفها إلى ثلاثة مواضيع هي التاريخ والجغرافيا والفترة التاريخية المرتبطة بـ 1930م[2]، أما التاريخ فيضم الأقسام من واحد إلى ستة، وهي تؤرخ للجزائر من أقدم العصور إلى سنة 1930م، ورافقها ذكر التاريخ العلمي والأدبي، وقدم نبذة عن العنصر البربري من حيث أصوله وعوائده ونضمه وقبائله، ثم العنصر العربي بنفس الكيفية، علاوة على التعرض للعناصر الأخرى المشكلة لسكان الجزائر، وفيما يتعلق بأقسام الجغرافيا فتضم سبعة وثمانية، قدم من خلالها خلاصة عامة للطبيعة الجزائرية من حيث الموقع والحدود والمساحة والمظاهر

[1]- عبد القادر خليفي، الكتابات التاريخية وبعث الوطني الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية 1931 - 1950، مجلة أبحاث ودراسات، جامعة تبسة، ب ت، ص 08.

[2]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، نشر دار الكتاب، الجزائر، 1963م.

الطبيعية، وأعقبها بعرض للناحية الإدارية وإحصاء للسكان، كما أضاف إليها ترجمة خاصة لإثنان وسبعون مدينة من أشهر وأعرق المدن بالجزائر، (الأغواط، باتنة، أولاد جلال، أرزيو وبوسعادة)، خصص الأقسام المتبقية وهي منتسعة إلى أربعة عشر للوضعية السياسية، القضائية التعليمية، والحالة الإقتصادية العامة.

وفي الأخير عبرت خاتمة الكتاب عن صرخة قوية تدعو إلى قلب الموازين من أجل التغلب على وحشية المستعمر، وتجلى ذلك من قوله: "...هذه حياة الجزائر الإسلامية يا أخي بين يديك وأنت سليل الأبطال وفي عروقك يجري دم الرجال فارفع جزائرك عالية، وإذا ما هتف الناس بحياة أوطانهم، فلترفع الرأس شامخا ولتهتف على رؤوس الملأ بصوت يسمعه كل الناس، لتحيا الجزائر الخالدة[1].

3- القيمة السياسية للكتاب:

كان القلم إحدى الوسائل التي إستعملها الجزائريون في نشاطهم السياسي وحركتهم الإصلاحية، بالرغم من الضغوطات والمضايقات التي تعرضوا لها نتيجة أفكارهم، والقضايا التي عالجوها في كتاباتهم، كونها ناضلت من أجل القضايا الوطنية والقوانين الإستثنائية الظالمة[2]، وبهذا ساهموا في تحرير الفكر العربي الجزائري من شوائب التقليد والخرافات[3]، وكان من بينهم أحمد المدني الذي اشتهر بإنتاج فكري كبير، تجلى ذلك في كتاب يحمل توجيهات ويتضمن رسائل في غاية الأهمية عند وضعها في سياقها الزمني من حيث مدلولاتها الإيديولوجية، وما ترمي إليه من أغراض وطنية.

يعتبر الكتاب كمشروع دفاعي عن الوحدة الوطنية الجزائرية، وتصديه للسياسة الإستعمارية الهادفة إلى تقسيم المجتمع الجزائري على أساس عرقي، من خلال محاولة إثارة نزاع بين البربر والعرب، مؤكدا على تماسك الشعب وإنصهاره على مدى قرون ومحذرا بقوة من المشاريع الثقافية الفرنسية، كما عالج مشكلة الفراغ الذهني التاريخي لدى الشباب الجزائري، من مثقفين بالفرنسية بعضهم تمزق ذهنه

[1] – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 401.

[2] – الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص33.

[3] – أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، المرجع السابق، ص259.

إلى الإنجذاب نحو التاريخ الدخيل ونفور التاريخ الجزائري المشوه، ومن مثقفين بالعربية خانتهم المراجع الرابطة للماضي بالأصالة والنزاهة [1].

فقد احتوت مقدمة الكتاب على دعوة صريحة للشباب من أجل الإهتمام بتاريخ وطنهم، حيث أوضح صاحبه أن هذه الفئة التي كانت تتجاذبها التيارات يمينا وشمالا حتى أصبحت تعيش في هبات الظلام، أو كأنها خُلقت على أرض لا وجود لها من الأصل، ليخلص إلى أن هذا العزوف الظاهري عن الإنشغال بهموم البلاد وإنما مرده إنعدام الوسيلة والتي تتمثل في الكتابة باللسان العربي، لذلك ركز جهوده وتوجيهاته نحو هذه الفئة التي حسبه مركز الحركة والشعور والإحساس في جسد الأمة فخاطبها قائلا: "أيها الشبان البررة وعلى أعمالكم يعتمد هذا الوطن كي يبني صرح مجده عاليا، ويتبوأ مقعده بين الأمم العربية الناهضة".

وكتب العلامة عبد الحميد بن باديس* يبرز دور الكتاب التاريخي والوطني فيقول: "...الخدمات التي يجب تقديمها للبلاد في مثل هذا الظرف 1932م، هي نظير ما إحتطه المدني مما يجعل الشباب عارفين لوطنهم، فإكتشاف كل ما كان للوطن من عز هو عمل مثمر ، فالذي يحمل كل فكرة وطنية لا يصدق فيما يقول إلا إذا خدم الوطن من الناحية التي خدمها المدني..."[2]، ويقول سعد الدين بن أبي شنب عن الكتاب "...يلتقي الميلي مع المدني في هذا الكتاب من خلال إظهار شخصية البربري والعربي عبر التاريخ على أنها شخصية لا تذوب في الغير، وأن هؤلاء القوم يقطنون المنطقة منذ القديم، وبينهما علاقات راسخة تجعلهم شعبا واحدا "، كما حملت الأفكار التي وجهها المدني في كتابه الجزائر شعلة نارية سرب من خلالها ندائه بغرض التصدي لسياسة التجنيس، ونبذ الفكرة الغربية الفرنسية مؤكدا على ضرورة الحفاظ على المرجعية الدينية الإسلامية واللغوية،

[1] – صالح خرفي ، الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث ، مجلة الثقافة، ع 01، الجزائر، مارس 1971، ص 53.

*– عبد الحميد بن باديس: هو رائد النهضة الجزائرية ولد في 1889/12/04م من أسرة عريقة تقطن بقسنطينة أبوه هو محمد المصطفى، كان عضو في المجلس الأعلى بالجزائر، إهتم ابن باديس بالإصلاح والنهوض بالتعليم ومحو الجهل والعودة إلى منابع وأصول الدين الإسلامي الحديث وهو صاحب مقولة "الجزائر وطننا والإسلام ديننا والعربية لغتنا" وهو أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في 05 ماي 1931م وتوفي في 1940/04/16م. ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص28.

1– عبد القادر خليفي ، الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية 1931- 1950م، المرجع السابق، ص08.

وإعمال العقل من خلال الإبتعاد عن الجهل والشعوذة والبدع، والإتحاد فيما بين الشباب من أجل التطور وتحسين الأحوال العامة للمجتمع الجزائري[1].

إن القيمة التاريخية والحضارية والتجديدية للكتاب، هي التي جعلت مجلة المجمع العربي بدمشق تفخر بهذا المؤلف وتشيد بأهميته الوطنية والسياسية، وذلك من خلال ما كتب فيها: "من أمتع الكتب التي نشرت بالجزائر على عهدها الأخير، جاء بأسلوب عصري بديع هذا السفر النفيس، كتبه مؤلفه بأسلوب رشيق وعبارة منسجمة، فرسم لنا صورة الجزائر طبق الأصل بحيث من يقرأ كتابه يلم بتاريخ ذلك القطر، ولا تصح أن تخلو منه خزانة كتب شرقية"[2]، كما يخلص أحد الباحثين في تقييمه للكتاب على أنه يشكل إحدى المساهمات الأساسية في المسعى الرامي إلى الإحياء الوطني، الذي شرعت فيه الحركة الإصلاحية إلى جانب إنتاجات بعض الأقلام التاريخية كما فسهره المدني وأظهره كأحسن وأفضل أمل للحركة الإصلاحية الجزائرية[3].

يظهر الجانب السياسي للكتاب في إعتماد المدني على بعض الآراء الفرنسية التي تقول بإنصاف الأهالي، واشتمل كتاب الجزائر على إحصاءات مرجعها الوثائق الفرنسية، ولكن لغته وأسلوبه وعاطفته كلها في صالح الهوية العربية الإسلامية للجزائر، وهو يقف ضد الإندماج، ويقف إلى جانب ابن باديس في دعوته إلى المساواة بين الفرنسيين والجزائريين، كما توحي أفكار الكتاب إلى الدعوة من أجل التجديد بإصلاح أحوال التعليم والشباب، كما ينتقد الإدارة الإستعمارية على ممارستها اللاإنسانية في مجال التعليم وممارسة الحقوق المدنية والسياسية ، بهذا يمكن القول بأن الكتاب يعتبر كدليل على النزعة السياسية الإيجابية، التي يهدف من خلالها المؤلف إلى الرفع من النشاط الوطني والإتحاد من أجل تحقيق الهدف الأسمى، وهو بناء حركة وطنية قائمة على قواعد وأسس نضالية سياسية، تسعى إلى تحقيق الغايات والسبل العظمى في سبيل إحياء الحس الوطني، وبالتالي وجوب النضال السياسي والتكافل الإجتماعي، ومن ثمة تحقيق النصر والحرية الدائمة للجزائر.

[1] – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص374 - 375.

[2] – محمد قنانش، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ب ت، ص 114.

[3] – علي مراد، المرجع السابق، ص 138.

المبحث الرابع: عبد الرحمن الجيلالي وكتابه "تاريخ الجزائر العام":

يعتبر الشيخ عبد الرحمن الجيلالي من علماء مدينة الجزائر العاملين والمصلحين، الذين حاربوا الأفكار الإستعمارية المناهضة للوجود القومي للجزائر، وسلك مسلك أقرانه في الإصلاح السياسي والإجتماعي، حيث لعب دورا كبيرا في تثقيف المجتمع الجزائري وتنويره بإبراز التراث التاريخي القديم للجزائر، فكيف تكونت شخصية هذا العالم الفذ؟ وماهي أبرز جهوده وإسهاماته في إحياء الإنبعاث السياسي للجزائر المستعمرة؟

1- سيرته ذاتية (1908م-2010م):

هو عبد الرحمن بن الحاج محمد بن الحاج بوعلام الجيلالي، ولد سنة 1908م بمدينة الجزائر في عائلة متوسطة الحال، دفعه والده إلى حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد بن البشير البوزيري، وهو أول شيوخه مع مصطفى مستكجي خطيب الجامع الجديد، كما درس على يد الشيخ عبد الرحمن السمار[1]، وإستطاع عبد الرحمن ختم القرآن وهو لم يتجاوز سن 14سنة، ثم إتصل بعدد من مشايخ عصره لتلقي مختلف العلوم، فدرس على يد عدة شيوخ في المساجد والزوايا، منهم عبد الحليم بن سماية، والشيخ المولود الزريبي الأزهري والشيخ الحفناوي، ومحمد بن أبي شنب، عُرف عن الجيلالي أن ثقافته كانت عصامية وشملت التعمق في القرآن والحديث والتاريخ[2].

أُسندت له مهمة قراءة وترتيل وتجويد القرآن الكريم بالجامع الجديد الحنفي بالجزائر، وكان عمره لا يتجاوز حينها 20 سنة، كما كان يلقي دروسا بصفة تطوعية في الفقه وعلم الكلام والتوحيد والحديث في مختلف مساجد مدينة الجزائر، شارك الشيخ في إنشاء جمعيات عديدة كجمعية الشبيبة الإسلامية وجمعية التربية والتعليم وجمعية الهدى، ثم تولى التدريس في مدرسة الشبيبة الإسلامية أثناء إدارة الشاعر محمد العيد آل خليفة لها خلال الثلاثينيات، كما درس في المساجد الآتية: الكبير والجديد وسيدي رمضان وفي مدرسة الإحسان والهداية[3].

---

[1]- محمد علي دبوز، المرجع السابق،ج1، ص133.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط8، دار الامة، الجزائر، 2010، ص16.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج7، ص451.

يملك الشيخ عبد الرحمن الجيلالي رصيد زاخر بالنشاط العلمي والديني وتجلى ذلك من خلال مؤلفاته الآتية:

- تاريخ الجزائر العام أوائل الخمسينيات 1953م، وهو في جزأين، وقد تناول التاريخ من أقدم العصور إلى العهد العثماني.
- كتاب المدن الثلاث : الجزائر - المدية - مليانة.
- ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب.
- العملة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر.
- ابن خلدون في الجزائر.

2- كتاب "تاريخ الجزائر العام":

أصدر عبد الرحمن الجيلالي أربع مجلدات حول تاريخ الجزائر من القديم إلى غاية 1954م، وخصص الجزء الثالث منه للعهد العثماني، مع ملاحظة أن الجزئين الأخيرين لم يصدرهما إلا بعد الإستقلال، عكس الأول والثاني اللذين أُصدرا في عامي 1953- 1954م[1]، وأفاد الجيلالي أنه شرع في تأليف هذا الكتاب عند نشوب الحرب العالمية الثانية سنة 1939م، مستغلا ظروف الحرب وإنشغال الناس بشؤونها.

جاء الجزء الأول من تاريخ الجزائر العام بواجهة ذات لون بني قاتم توسطها عنوان الكتاب بخط كبير تحت اسم "تاريخ الجزائر العام" وفي أسفله اسم المؤلف "عبد الرحمن الجيلالي" يليه مباشرة الجزء الأول، ثم في أسفل الواجهة، وضع رمز دار النشر وهي دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، إحتوى هذا الجزء على 407 صفحة، إستهل المؤلف الكتاب برسالة فخامة رئيس الجمهورية إلى الشيخ عبد الرحمن الجيلالي يمدحه فيها، ويفخر بالمؤلفين الذين جمعوا شتات أوراق التاريخ وعرفوا به منذ الزمن البعيد، للتذكير فإن هذه الإشادة من قبل الرئيس بوتفليقة جاءت في الطبعة الثامنة للكتاب[2].

[1] - بوشنافي محمد، المرجع السابق، ص150.

[2] - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص07.

ركز عبد الرحمن الجيلالي في بداية كتابه على تعريف التاريخ وعلاقاته بالقومية، وخصص جزءا ضئيلا منه لتاريخ الجزائر قبل الفتح الإسلامي، ليدخل بعدها مباشرة في موضوعه الذي جاء في شكل عناوين فرعية، حيث أشار إلى جغرافية القطر الجزائري، والجزائر العتيقة من ما قبل التاريخ، أو العصور الوسطى من خلال التعريف بلغتهم وديانتهم، ثم عرج المؤلف إلى ذكر البربر وما يخص أخلاقهم وأهم مراكزهم والمعتقدات السائدة لديهم[1]، وتطرق أيضا إلى الدولة الفينيقية القرطاجنية "880-149ق.م"، وذلك من خلال نظام حكمها ومعتقدها وأبرز مشاهيرها، ونجد كذلك الدولة الرومانية "146ق.م-431م"، حيث وصف معتقداتهم وجوانب من حياتهم وأبرز أباطرتهم، ثم ذكر الدولة الفاندالية "431-534م" والدولة البيزنطية "534-647م".

ليذكرنا المؤلف بعدها بالجزائر العربية المسلمة من خلال أخلاق العرب وعاداتهم والمعتقد السائد لديهم، ثم أشار إلى فتح إفريقية "22هـ/643م"، وحملة عقبة بن نافع الأولى وفتح المغرب الأوسط ثم مواصلة الفتح، وتطرق بعدها إلى ذكر خوارج إفريقية 157هـ/774م، كما عرف أيضا بالدول التي تعاقبت بالجزائر منها، الرستمية ونشأتها ثم الدولة الإدريسة ونظامها والأغلبية ونشأتها ثم العبيدية "الفاطمية" وبعدها الزيرية "الصنهاجية" وأخيرا الحمادية حيث ركز على نشأتها ونظام حكمها وإمتدادها، بالإضافة إلى الحياة الثقافية وإزدهارها من خلال الحضارة والعمران ثم الحياة الإقتصادية التي عرفتها هاته الدولة [2].

أما الجزء الثاني من تاريخ الجزائر العام فجاءت واجهته بنفس مواصفات واجهة الجزء الأول، ماعدا تغيير في الجزء الثاني، إحتوى هذا الكتاب على 375 صفحة إنطوت تحت 07 عناوين رئيسة، ركز من خلالها المؤلف على التعريف بكامل التفاصيل والحيثيات التي تخص الدول الموجودة بالمغرب العربي، بداية من دولة المرابطين ونشأتها "472هـ/1079م"، ثم نظام حكمها والمذاهب والعقائد التي إشتهرت بها، وبعد ذلك وصف لنا دولة الموحدين والجانب الحضاري والعمراني الذي تميزت به، بالإضافة إلى الدولة الحفصية والمرينية، ودولة بني عبد الواد الزيانية "932هـ/1235م"، ليتطرق في

[1] – عبد الرحمن الجلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص31- 80.

[2] – نفسه، ص– ص 83 - 357.

الأخير إلى حملة الإسبان ومجيء الأتراك إلى الجزائر، وذكر أيضا خلاصة أحداث الإسبان بالجزائر على عهد بني زيان، ووصف أحوال المجتمع والإقتصاد والإنتاج العام بالجزائر ثم إنهيار دولة بني عبد الواد الزيانية، ليذكر بعدها مجموعة من مشاهير الجزائر أمثال، أبو الفضل محمد المشدالي، أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، وأبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي[1].

يمتاز تاريخ عبد الرحمن الجيلالي بالتبويب المحكم وترتيب الأدوار التاريخية، وذكر جداول الدول وتراجم بعض المشاهير، وقد دعى إلى المحافظة على الهوية الوطنية وإحترام الأسلاف، والإرتباط بالدين والوطن، وشمل تاريخه أيضا ذكر الأسباب في ظهور الدول واختفائها، بالإضافة إلى التعرض للوضع الإقتصادي والحضاري، كما حاول الجيلالي أن يكون موضوعيا في عرضه للكثير من الأحداث التاريخية، من خلال إستشهاده بنصوص كثيرة ومختلفة حتى الأدبية منها، للتعبير عن الحالة الفكرية للدول التي تطرق لتاريخها، ومهما يكن فإن الجيلالي قد بذل جهدا معتبرا وأنفق وقتا كبيرا في إخراج كتابه هذا وهو ما تشهد عليه مادته الخصبة ومعارفه الواسعة فهو كتاب هام، لا غنى عنه لأحد يريد أن يلم بتاريخ الجزائر خلال الأطوار المتباعدة التي عالجها في مشروعه القيم[2].

3- القيمة السياسية للكتاب:

صدر تاريخ الجزائر العام في جزئين سنة 1953م، تناول فيه مؤلفه التاريخ الجزائري من أقدم العصور إلى العهد العثماني، وكان دافعه وطنيا فقد أهداه إلى عقبة بن نافع الفهري، ووجهه إلى الشباب، وكان ذلك رمزا لربط الحاضر بالماضي، فعقبة رمز للفتح الإسلامي، والشباب رمز لليقظة الوطنية، وكان هدف المؤلف أن يقتدي الجيل الجديد بأجدادهم، ولا ينغمسوا في الحضارة الأجنبية وينسوا ماضيهم[3].

يقول عبد الرحمن الجيلالي في كتابه "تاريخ الجزائر العام": "أقدم هذا الكتاب المتواضع قاصدا بذلك لفت نظر شباب الجزائر الناهض، وتوجيهه إلى دراسة ماضيه الحافل بالإنجازات التاريخية، لينشأ

[1] – عبد الرحمن الجلالي، المرجع السابق، ج2، ص– ص 07-37 .

[2] – عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص238.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج7، ص424.

على تقدير أعمال أسلافه، وإحترام وطنه والتّأسي بعظمائه الكرام، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد[1]، من خلال هذا القول الشهير أراد عبد الرحمن أن يبث في النفوس الجزائرية رمز من رموز الوطنية، ويحاول أن يبعث برسائل توحي إلى ماضي الجزائر وذاكرتها القوية، ويسعى إلى المحافظة على هذه المبادئ والقيم والتراث، حتى يتسنى للمستعمر الفرنسي بأن يعرف قيمة وعظمة هذا الوطن ومدى إعتزاز وافتخار أبنائه به، ويسعون لا محالة إلى تحقيق النصر والحرية مهما كلفهم الأمر.

إن من يعود إلى كتاب عبد الرحمن الجيلالي يراه عملا نفيسا، ومن أهم المراجع في تاريخ الجزائر منذ القديم، حيث عرف بجل المظاهر والأحداث التاريخية التي عرفتها منطقة المغرب الأوسط، وبهذا يبعث المؤلف في كتابه هذا إلى الشباب الجزائري روح الوطنية، والغيرة على التراث والإعتزاز بأمجاد الماضي، ويمكن إعتبار ظهوره صفحة جديدة في اليقظة الوطنية، والشعور بالذات السياسية سيما في الوقت الذي كانت فيه الجزائر تتهيأ لميلاد ثورة عسكرية، تستمد أفكارها من مبادئ الوطنية، وروح المقاومة التي زرعها أولئك المؤلفين المخلصين في نفوس الشباب من أجل الفطنة، والنهوض بالقضية الجزائرية من جديد.

يشيد أبو القاسم سعد الله إلى قيمة الكتاب السياسية فيقول في ذلك: "....حاول الجيلالي أن يجمع المبعثر، ويرمم الجسور ويجعل للجزائر تاريخا واحدا وموحدا معجونا بدماء أبنائها، ومجدولا بخيوط حضارتهم عبر العصور، ولكننا نرجو ألا يكون ذلك على حساب اللحمة الصلبة بين سكان بلاد المغرب، وهي اللحمة التي كانت قوة على الأعداء ودعما للأصدقاء، فالتشتت لم يكن في يوم من الأيام فضيلة"[2]، وأضاف الدكتور عمار طالبي مبرزا قيمة الكتاب في جانبها التوعوي الوطني قائلا: "...ليرشد فيه الشباب المسلم الجزائري إلى تاريخ وطنه التليد وصفحاته المشرقة، ليعتز بهويته فيدافع عنها ويتمسك بعروتها، ويندفع في بناء مستقبلها وإعلاء شأنها ورفع رايتها بين العالمين، وإنها

[1] – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص12.

[2] – نفسه، ص20.

لرسالة وأية رسالة، موجهة للشباب شباب الأمة، عماد نهضتها ودواؤها للنجاة من كبوتها والخلاص من رقدتها كلما ألمت بها محنة أو أصابتها إحنة"[1].

لقد غلب المنهج الوطني في معظم مؤلفات عبد الرحمن الجيلالي، حيث عرف بالجزائر ومدنها وأبرز مناطقها عبر التاريخ، وهذا يوحي إلى تأكيده الدائم والمطلق على زرع روح الوطنية، ومحاولة بعث الثقة في نفوس الجزائريين من أجل التخلص من القيود والعوائق التي كان يصطنعها المستعمر الفرنسي، وفي هذا الشأن يشير الكاتب إلى أن الغاية من هذا المؤلف هي"...إشباع الشاب المسلم الجزائري وتأكيده على إحترام بلاده، وتمجيد تاريخه اللامع العظيم والثقة بمستقبله الزاهر النير، مع نفخ روح القومية فيه وإعداده لوصل حاضره بماضيه، حتى تتكامل فيه أركان الحياة الأربعة، المحافظة على شخصيته وميزته وتقديس أسلافه الأمجاد والتمسك بدينه والعمل على الإشادة بوطنه...."[2].

[1] – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص22.

[2] – نفسه، ص26.

خاتمة الفصل:

شكلت النخبة الوطنية المنبعثة من الحركة الإصلاحية، نواة حقيقية لحركة تاريخية وأدبية في الأمة الجزائرية، من خلال مناهجهم في البحث والتأليف وأساليبهم في التعامل مع الواقع المحيط بهم، فأصبحت أعمالهم ومؤلفاتهم دراسة روحية وإجتماعية، تربى عليها العديد ممن تتلمذ على يدهم، فكانت بذلك من أوائل من نبه الأجيال الجزائرية إلى ضرورة الإهتمام بتاريخها، والإستفادة من علوم وأخبار القدامى دون إنغلاق أو تحفظ من أجل الرقي والتطور وتحسين الوضع العام لهم، بعدما شاعت المفاهيم الخاطئة والخرافات المبتدعة عن الدين والمجتمع، والثقافة والتاريخ، وبهذا العمل تعبير عن إحياء روح الوطنية ونشر للعلوم والمعارف الحديثة من أجل إماطة اللثام عن حقيقة الإستعمار، ودفع عجلة النمو والتطور في الأوساط الإجتماعية

خاتمـــة

خاتمة:

نستنتج من خلال ما سبق ذكره في فصول دراستنا لموضوع "**حركة التأليف التاريخي بالجزائر ودورها في النضال السياسي إبان الإحتلال الفرنسي ما بين 1900م-1954م**"، مجموعة من النتائج والإستنتاجات الهامة نحوصلها في النقاط التالية:

– رغم الوجود الإستعماري المميز في الجزائر وطبيعته الإضطهادية، وسياسته الرهيبة التي دمرت أو بالكاد جل مقومات الشخصية الجزائرية، إلا أننا نلاحظ كيف أن الجزائريين قد قبلوا التحدي ولعبوا دورهم وزيادة، في التخلص من القيود والعثرات الإستعمارية التي كانت تواجههم، وتجلى ذلك من خلال بروز حركة فكرية علمية لعبت دورا رياديا في تأسيس كيان ثقافي كان له دور كبير في بلورة الوعي السياسي لدى الجزائريين.

– وفاء الأمة في الإعترافات بحق رجالها وأعلامها المصلحين، وذلك بالتعريف بمجهوداتهم الدعوية ، التي إضطلعوا بها خير إضطلاع للنهوض بأمتهم وإيقاظها من غفلتها.

– قال أبو القاسم الحفناوي "هذه ضرائحهم ينادي لسان صدقها بأن أهل زمانهم وما أدراك ماهم، قد أجمعوا على أنهم رجال، كان العلم قوتهم والعمل الصالح ياقوتهم فأفنوا أعمارهم في إرشاد الأمة وتنوير بصائرها، وخلد الحق ذكرهم فلهجت بذكرهم أقلامه على ألسنة خلقه"[1]، ويبدو من هذا النص رغبة العلماء المصلحين في إعطاء الجيل الجزائري الجديد صورا مجيدة لماضيه، وهذا لإلقاء الضوء عليه بعد أن أوشك على الإندثار والتحلل، إن الإشارات الجريئة إلى ماضي الجزائر المصبوغ بالطابع العربي الإسلامي والإشادة به وبرجاله، والتأكيد على الخصوصية الثقافية للشعب الجزائري في مواجهة الآخر، والتي نجدها مبثوثة في تآليفهم تكشف عن البعد السياسي والتطور الواعي الذي ميز هذه الأعمال التاريخية الهامة، للتصدي لأهم هدف إستعماري وهو القضاء على الهوية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري.

[1]–أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص ص02-03.

– تفيد الكتابات التاريخية أن حركة التأليف التي عرفتها الجزائر المستعمرة مع بداية القرن العشرين، وحركة الإيحاء التاريخي والتواصل مع المشرق العربي، هي في الحقيقة فكرة جماعية للتعبير عن تطورات ثقافية، سياسية وإجتماعية لم تكن معروفة، أرادت التخلص من الإستعمار بطرق لا يعرفها إلا الشعب الجزائري كونها موجهة لهم مباشرة، فأصبح من الضروري إحداث نهضة ثقافية التي فقدت قوتها مع أواخر القرن التاسع عشر، وزخم سياسي كبير يعتمد على ضغط إجتماعي وإبداع فكري بدل ثورات شعبية متفرقة، خاصة وأن المثقفين الجزائريين أيقنوا أن فرنسا كانت تعيش في قوة لا يمكن أن تهزم بالوسائل التقليدية، وأن الشعب الجزائري قد خسر المعركة ولكنه لم يخسر الحرب.

– ومن خلال جملة الحقائق التاريخية السابقة يمكننا القول أن حركة التأليف بالجزائر، لم تكن وليدة بداية القرن العشرين ميلادي، بقدر ما كانت دفينة الكينونة الجزائرية ضد معاول الهدم والتخريب الإستعماري، ومنه إستطاعت الطبقة المثقفة أن تجد الأسباب القوية ما يدفعها لتطوير أساليب النضال، ومحاولة الإصلاح الذي يعتبر من تعاليم الدين الصحيحة وجذورها، مستمدة من القرآن الكريم، فالمعروف أن الإسلام قد أوصى بالإصلاح بل عهد لطائفة من المسلمين أن تقوم بهذه المهمة لقوله تعالى: "﴿ وَلْتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران، الآية 104.

وفي الأخير لا يمكننا القول إلا أن التأليف التاريخي في الجزائر أثناء الإحتلال الفرنسي، كان يشكل وسيلة من وسائل النضال الوطني ضد العدو الفرنسي، وذلك لأنها كانت ترمي إلى شيئ هام وهو الوجود القومي والنزعة الوطنية، وعليه فإن هؤلاء الرواد حاولوا حفظ تاريخ الأمة وصيانة هويتها الإسلامية والعربية رغم ضعف الإمكانيات، وطغيان الدعاية الإستعمارية المضادة لهذا الإتجاه وبهذا تصبح هذه الأعمال التاريخية بمثابة التراث الوطني الذي يستوجب صيانته وحمايته، وتعريف الأجيال الحالية واللاحقة به.

ملاحـــق

الملحق رقم 01: صورة للشيخ عبد القادر المجاوي[1].

الشّيخ عبدالقــادر المجّــاوي

[1] – سويمة أولمان، دور عبد القادر المجاوي في الصمود الفكري، المرجع السابق، ص147.

الملحق رقم 02: صورة لواجهة كتاب إرشاد المتعلمين[1].

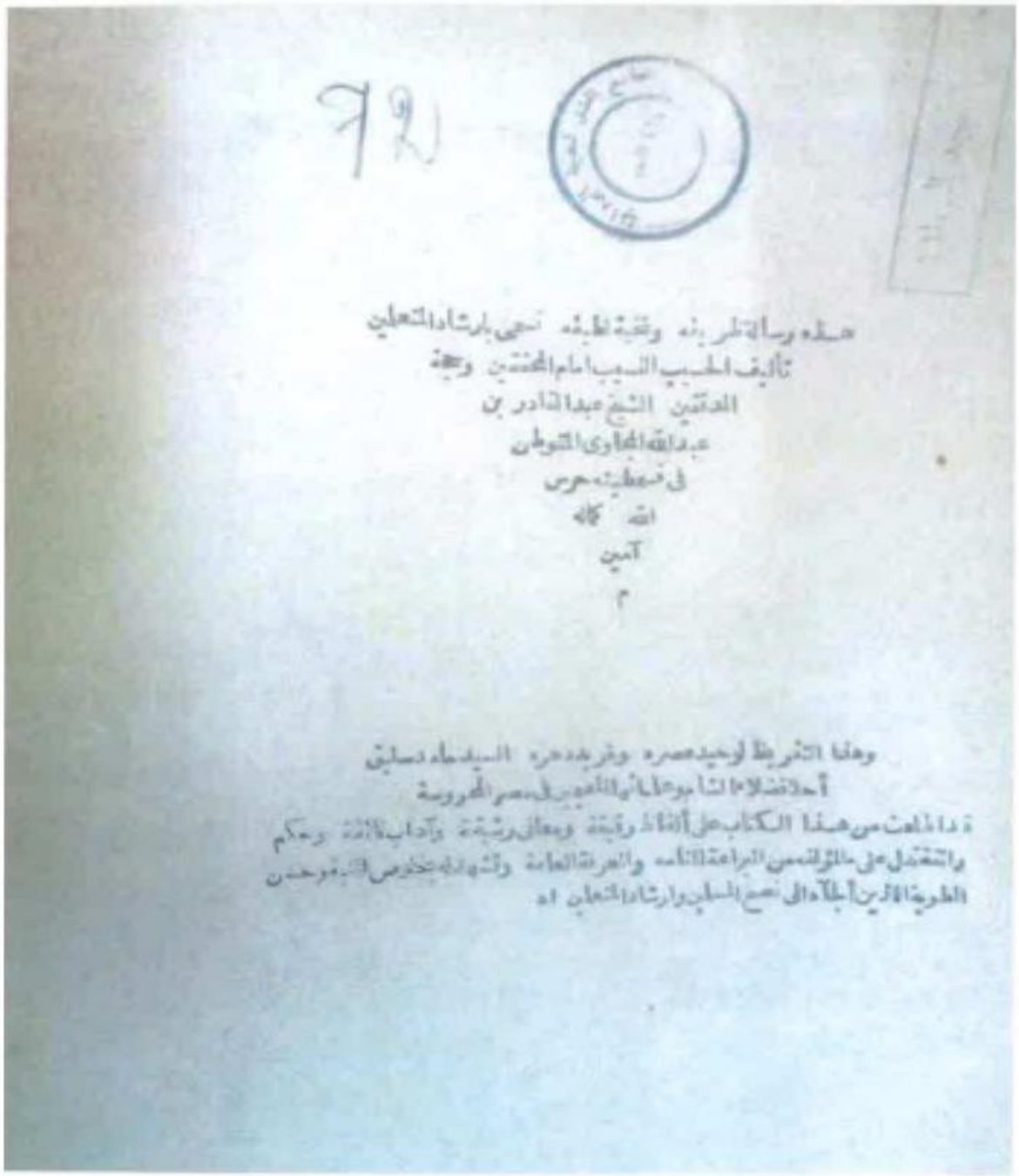

هذه رسالة طريفة وتحفة لطيفة تسمى بإرشاد المتعلمين
تأليف الحسيب النسيب امام المحققين وجهة
المدققين الشيخ عبد القادر بن
عبد الله المجاوي التونسي
في فسطينة حرس
الله كله
آمين
م

وهذا التقريظ لوحيد عصره وفريد دهره السيد محمد سليم
أحد فضلاء تونس وعلمائها المقيمين في مصر المحروسة
قد اطلعت من هذا الكتاب على أفكار رقيقة ومعان رشيقة وآداب فائقة وحكم
رائقة تدل على مالؤلفه من البراعة التامة والعبقرية العامة وتشهد له بخوض
الطرق الذين أجلاه الى نصح المسلمين وارشاد المتعلمين اه

صورة لغلاف النّسخة الأصليّة لكتاب « إرشاد المتعلّمين».

[1] – سومية أولمان، المرجع السابق، ص149.

الملحق رقم 03: صورة للشيخ أبو القاسم الحفناوي[1].

[1] – أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المصدر السابق، ص 458 .

الملحق رقم 04: صورة لواجهة كتاب تعريف الخلف برجال السلف[1].

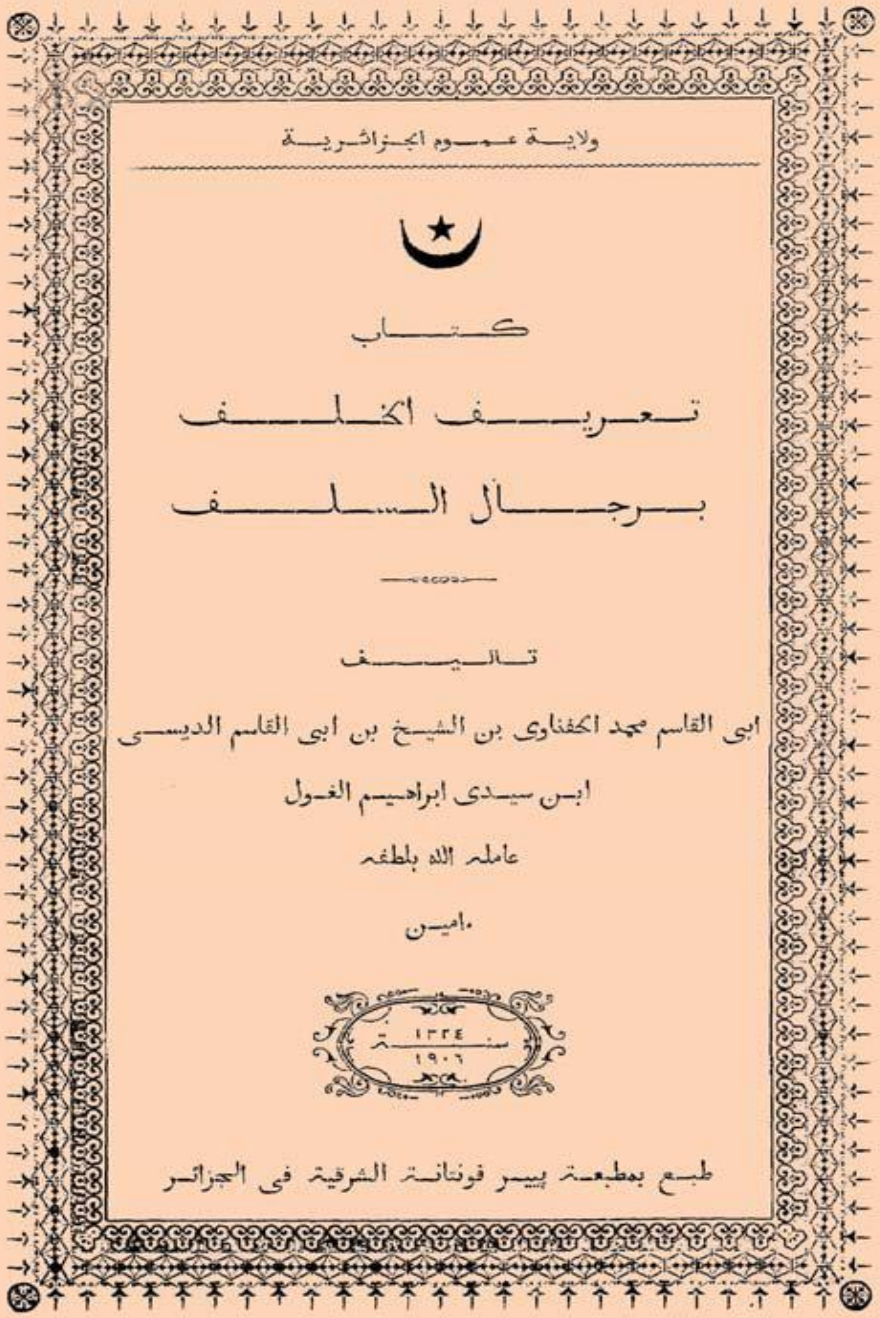

ولاية عموم الجزائرية

كتاب

تعريف الخلف

برجال السلف

تاليف

ابى القاسم محمد الحفناوى بن الشيخ بن ابى القاسم الديسى

ابن سيدى ابراهيم الغول

عامله الله بلطفه

.امين

سنة ١٣٢٤

١٩٠٦

طبع بمطبعة بيير فونتانة الشرقية فى الجزائر

[1] – أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق.

الملحق رقم 05: الصفحة الثانية من كتاب تعريف الخلف برجال السلف[1].

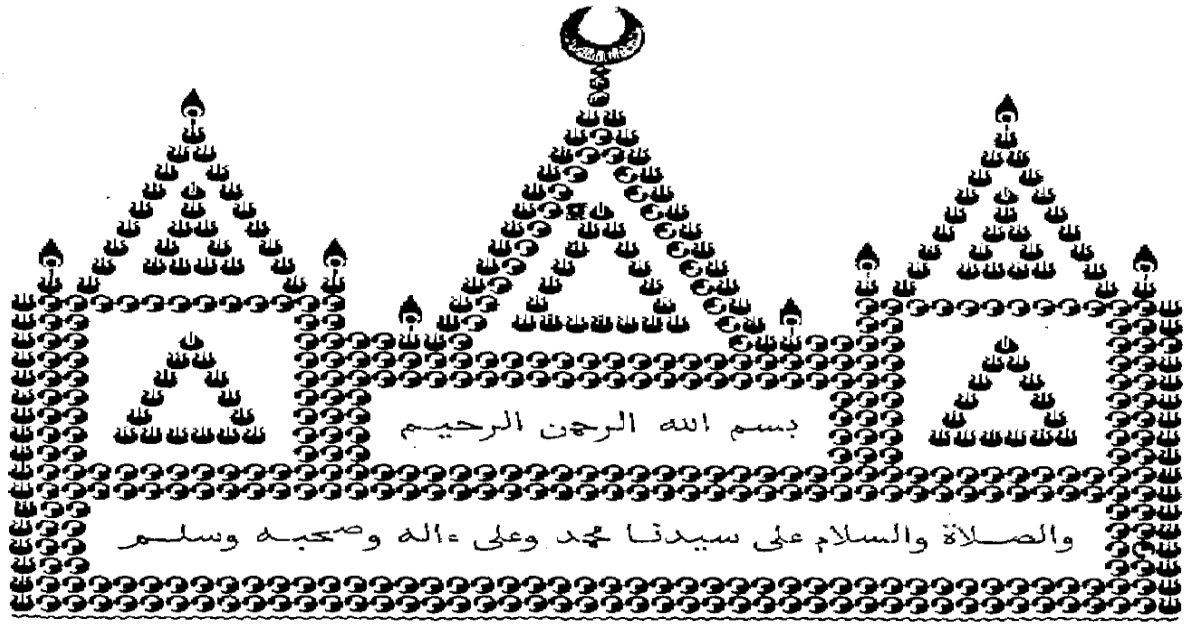

الحمد لله على نواله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله .

اما بعد فالظاهر ان القطر الجزائري قد اجتهد قديما في طلب العلم بجميع اسبابه . واتاه من سائر ابوابه . ووقف على معقوله ومنقوله . فتمكن من اصوله وفصوله . وكان لعلوم وقته جامعا . ولرايتها رافعا . مثل اخويه المغربين الاقصى والادنى فظهر في الاقاليم بدره . واشتهر في التاريخ قدره . بعلماء بنوا تآليفهم على اركان التحقيق . وحصنوها باسوار التدقيق . فكانوا في عصرهم نجوم اهتداء . وايمة اقتداء . ولكن طواهم واضرابهم فلك الانقلاب في مغارب الافول . فذهبوا ولسان حالهم يقول

تلك اثارنا تدل علينا ❊ فانظروا بعدنا الى الآثار

هذه ضرائحهم تنادي لسان صدقها بان اهل زمنهم وما ادراك ماهم قد اجمعوا على انهم رجال كان العلم قوتهم والعمل الصالح ياقوتهم فاقنوا اعمارهم

[1] – أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص02.

الملحق رقم 06: صورة لمحمد باشا بن الأمير عبد القادر[1] .

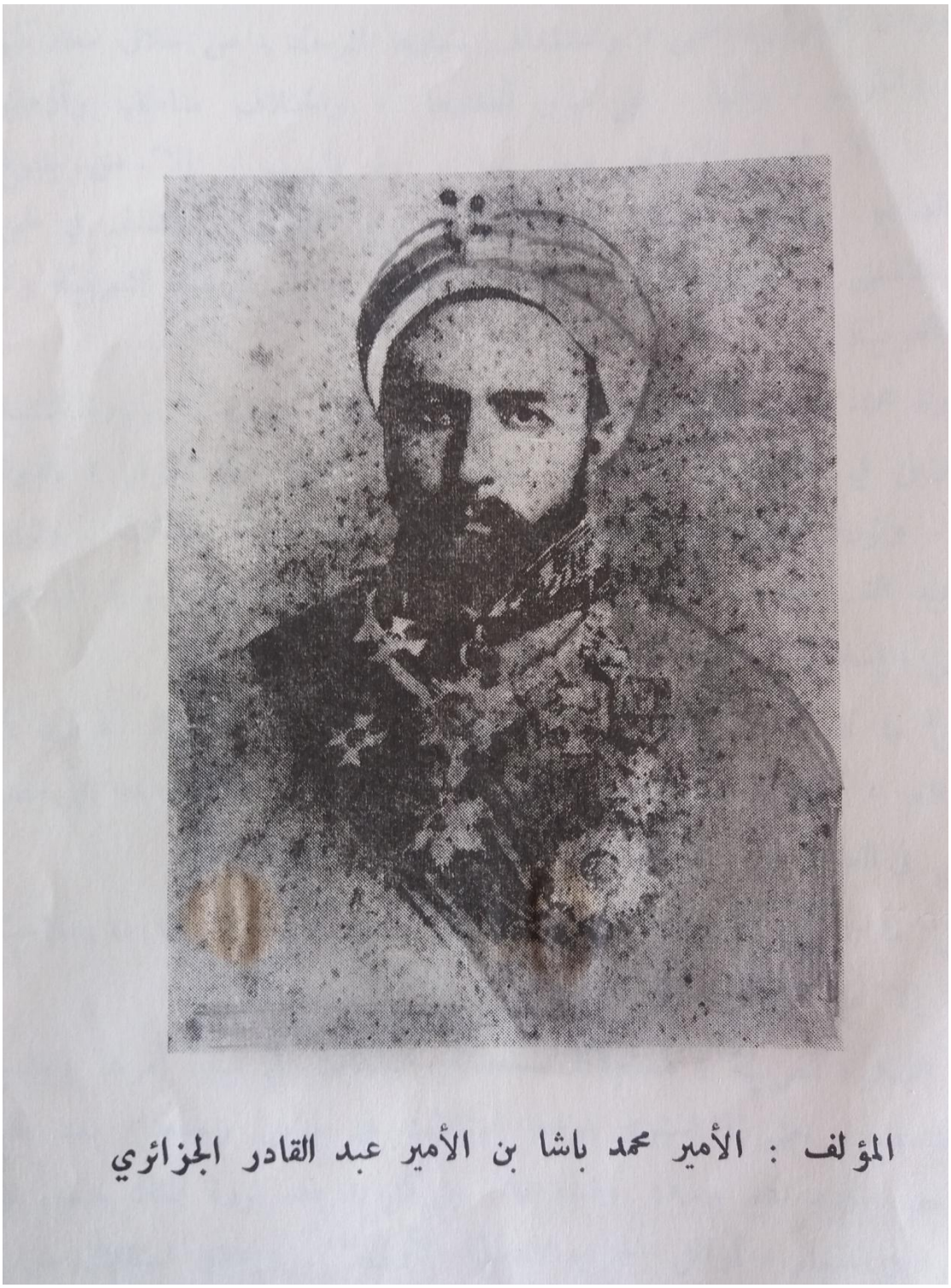

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تع. ممدوح حقي، المصدر السابق، ص02.

الملحق رقم07: صورة لواجهة كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر ، الجزء 01[1].

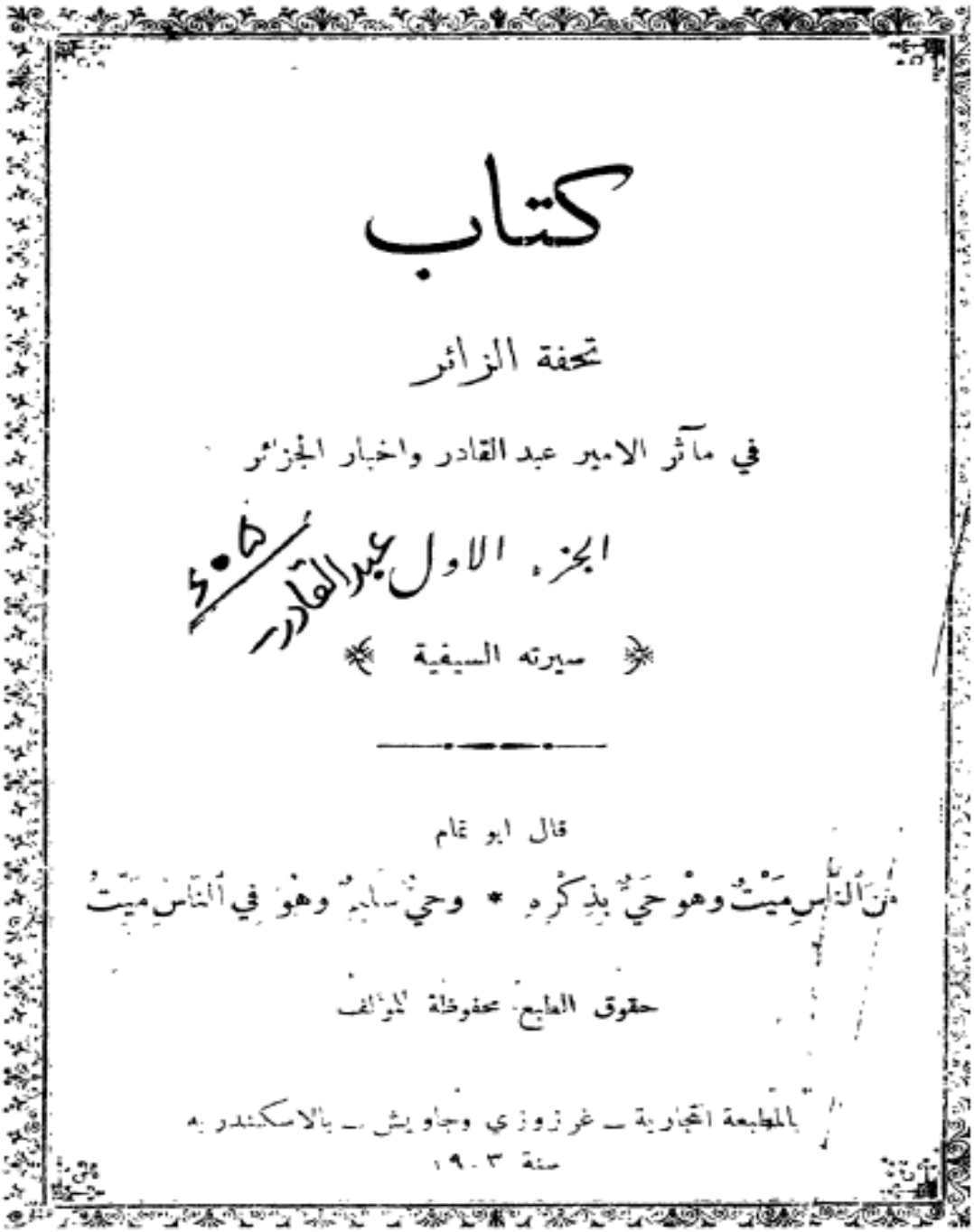

كتاب

تحفة الزائر

في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر

الجزء الاول عبد القادر ٥٠٤

سيرته السيفية

قال ابو تمام

مُنَ النَّاسِ مَيْتٌ وهْوَ حَيٌّ بِذِكْرِهِ * وحَيٌّ سَلِيمٌ وهْوَ فِي النَّاسِ مَيِّتُ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بالمطبعة التجارية ـ غرزوزي وجاويش ـ بالاسكندرية

سنة ١٩٠٣

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق.

الملحق رقم 08: صورة لواجهة كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر ، الجزء 2[1].

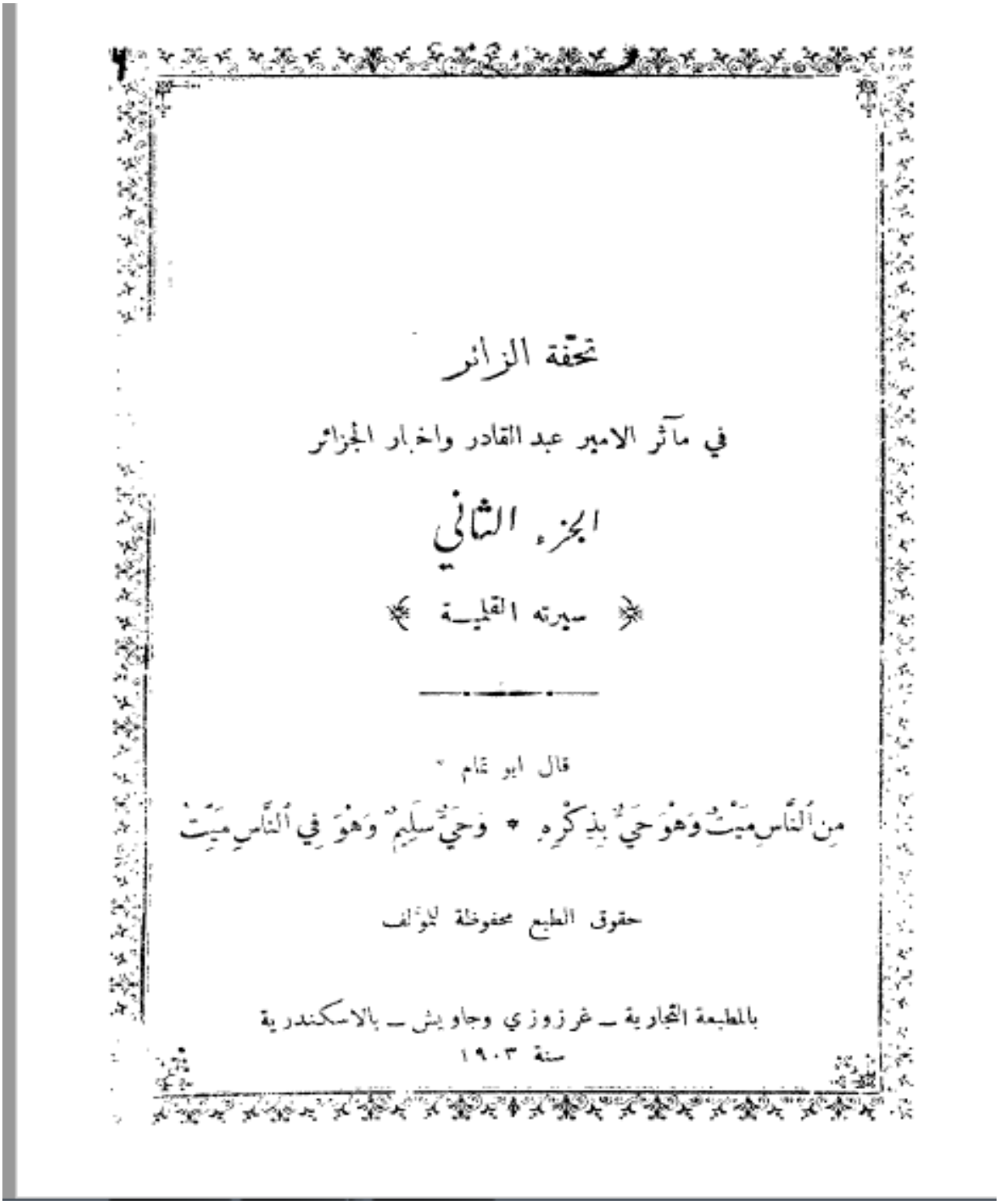

تحفة الزائر

في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر

الجزء الثاني

سيرته القلبية

قال ابو تمام

مِنَ النَّاسِ مَيْتٌ وَهْوَ حَيٌّ بِذِكْرِهِ * وَحَيٌّ سَلِيمٌ وَهْوَ فِي النَّاسِ مَيِّتُ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بالمطبعة التجارية ـ غرزوزي وجاويش ـ بالاسكندرية
سنة ١٩٠٣

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق .

الملحق رقم 09: صورة للشيخ مبارك الميلي[1].

[1] - https://ar.wikipedia.org/wiki, 22-05-2018(22:00)-22-052018(22:20).

الملحق رقم 10: صورة لواجهة كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث الجزء 1[1].

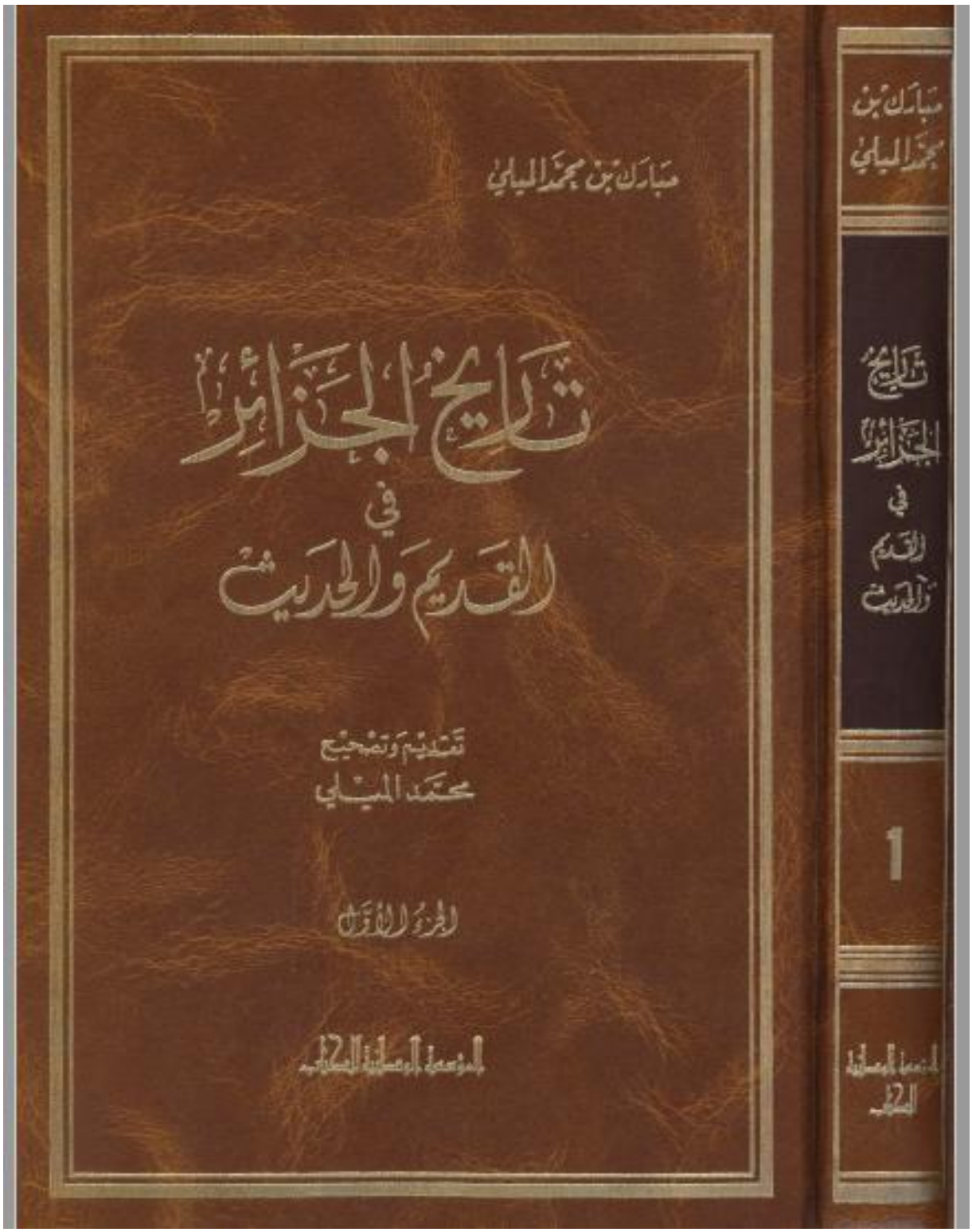

[1] – مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق.

الملحق رقم 11: صورة لواجهة كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث الجزء 2[1] .

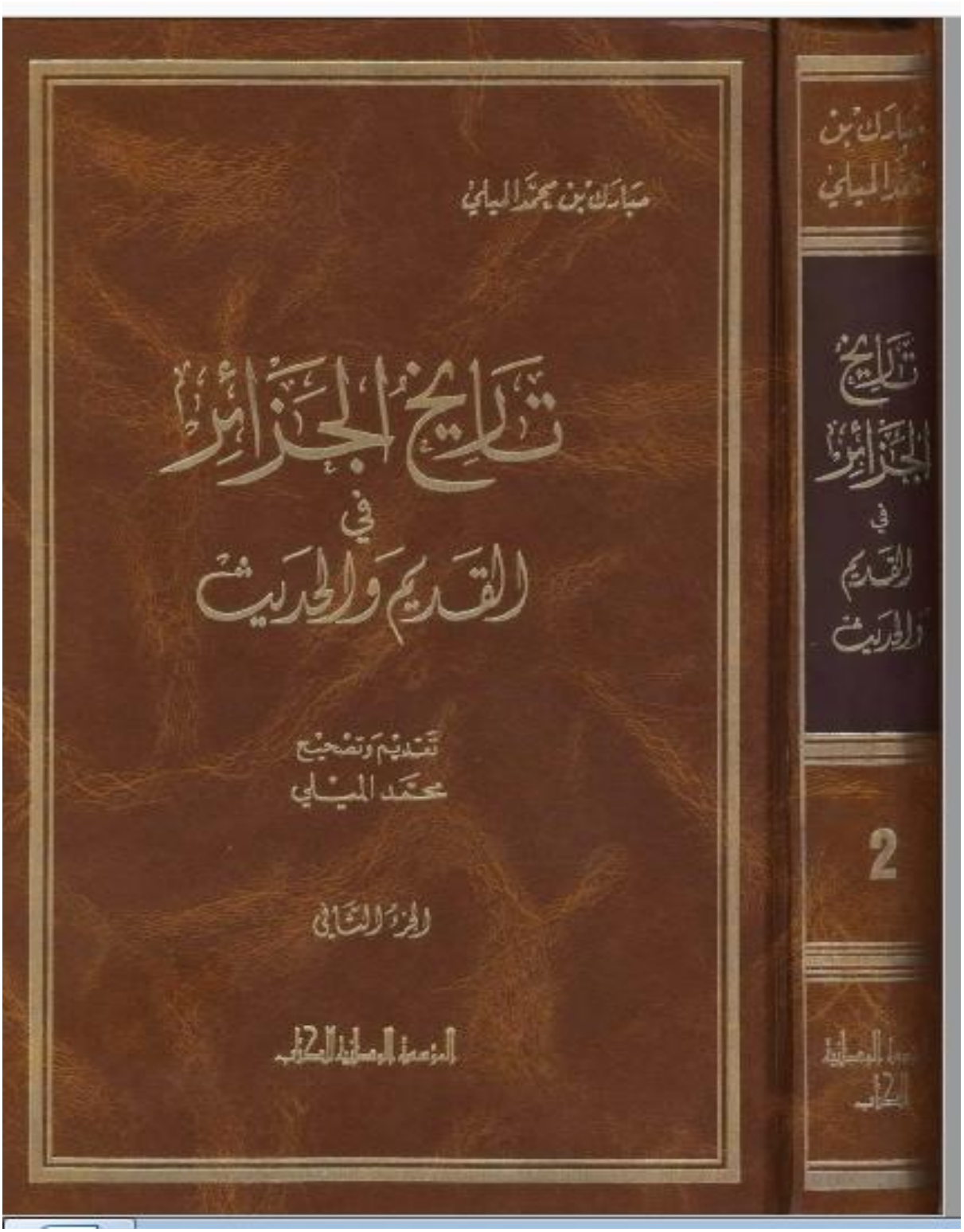

[1] – مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق.

الملحق رقم 12: صورة لفرحات عباس[1].

[1]–حميد عبد القادر، المرجع السابق

الملحق رقم 13: صورة لواجهة كتاب الشاب الجزائري[1].

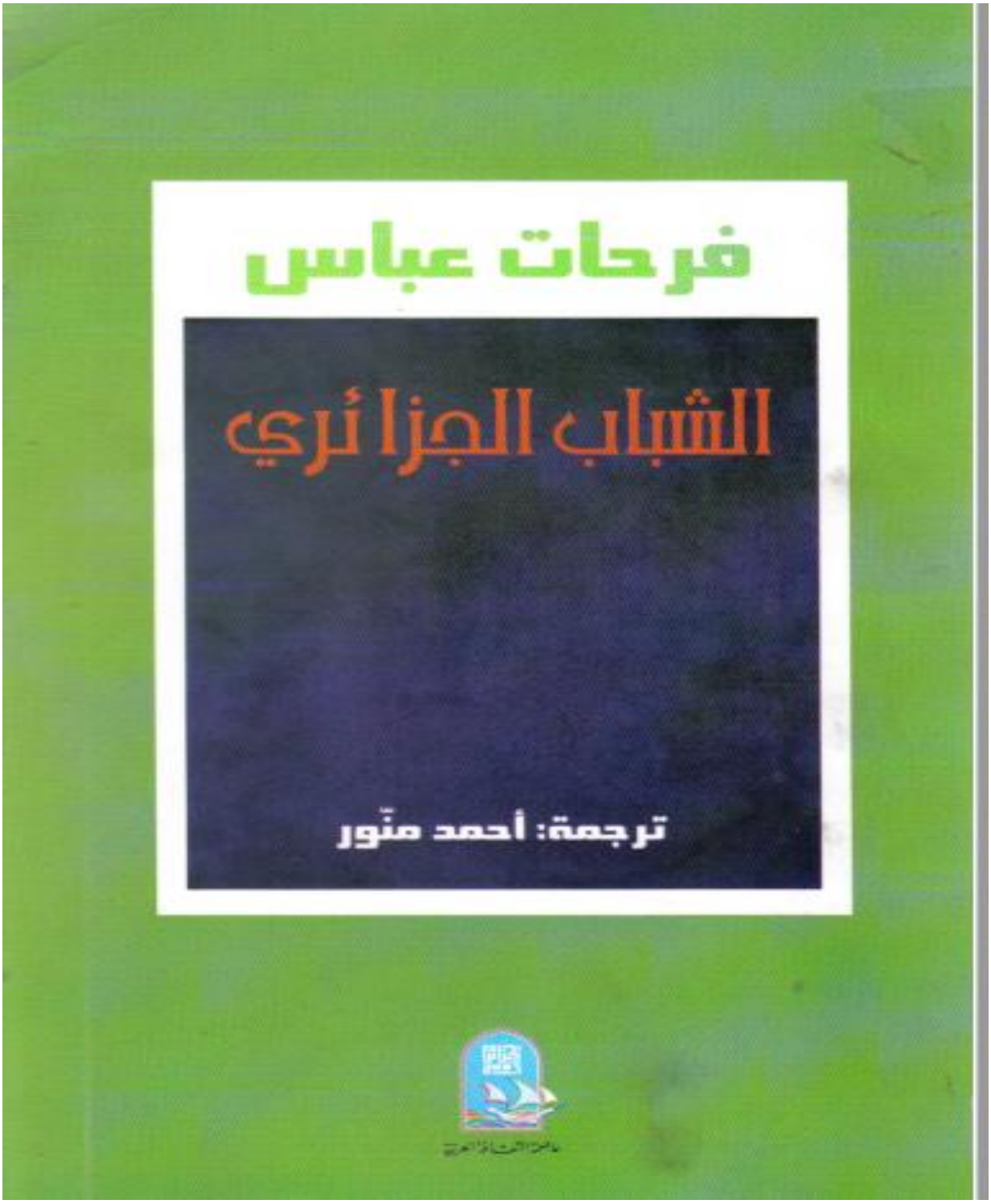

[1] – فرحات عباس، المصدر السابق.

الملحق رقم 14: صورة لواجهة كتاب Le Jeune Algérien[1].

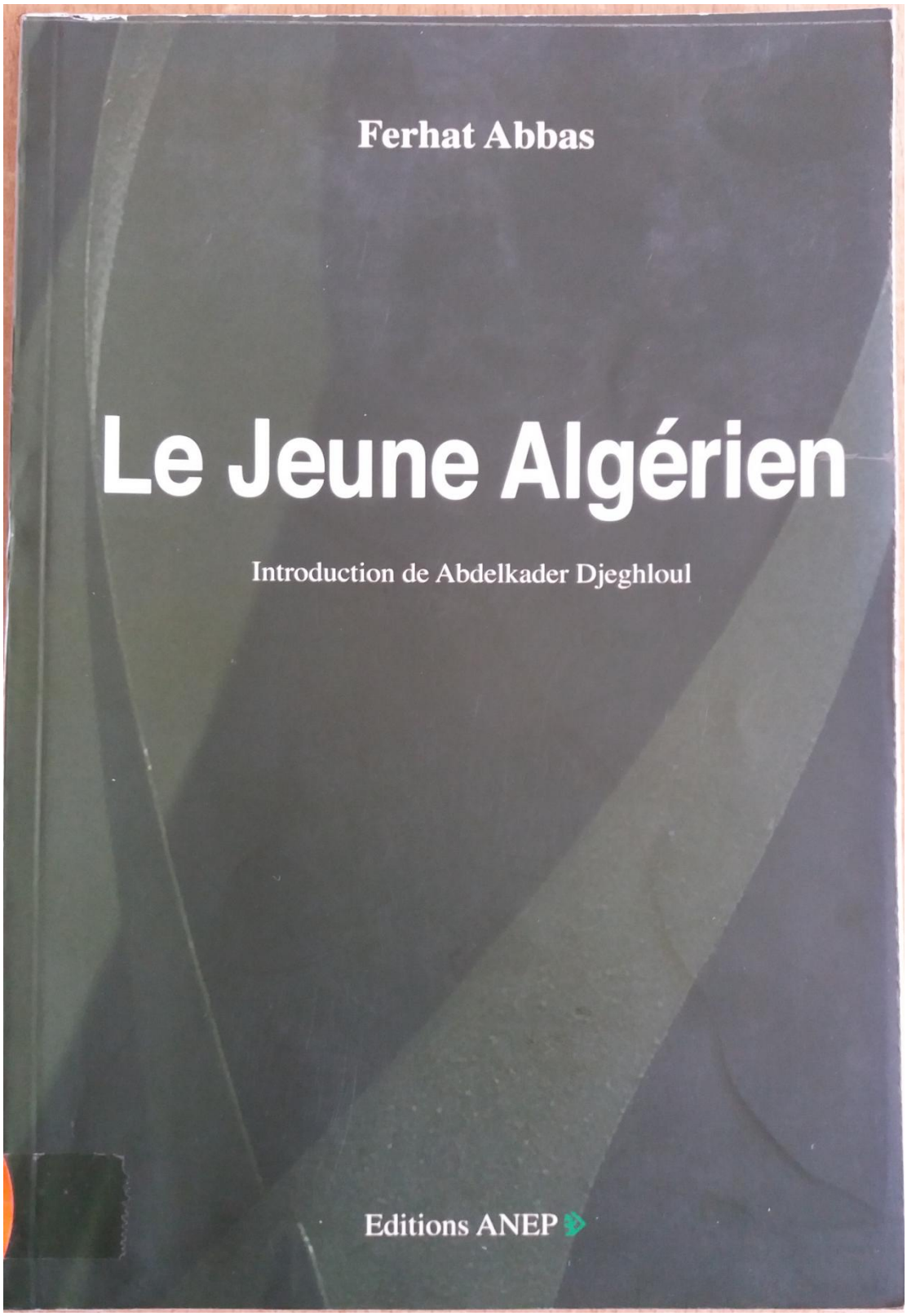

[1] -. Ferhat Abbas , op , cit.

الملحق رقم 15: صورة الواجهة الخلفية لكتاب Le Jeune Algérien[1]

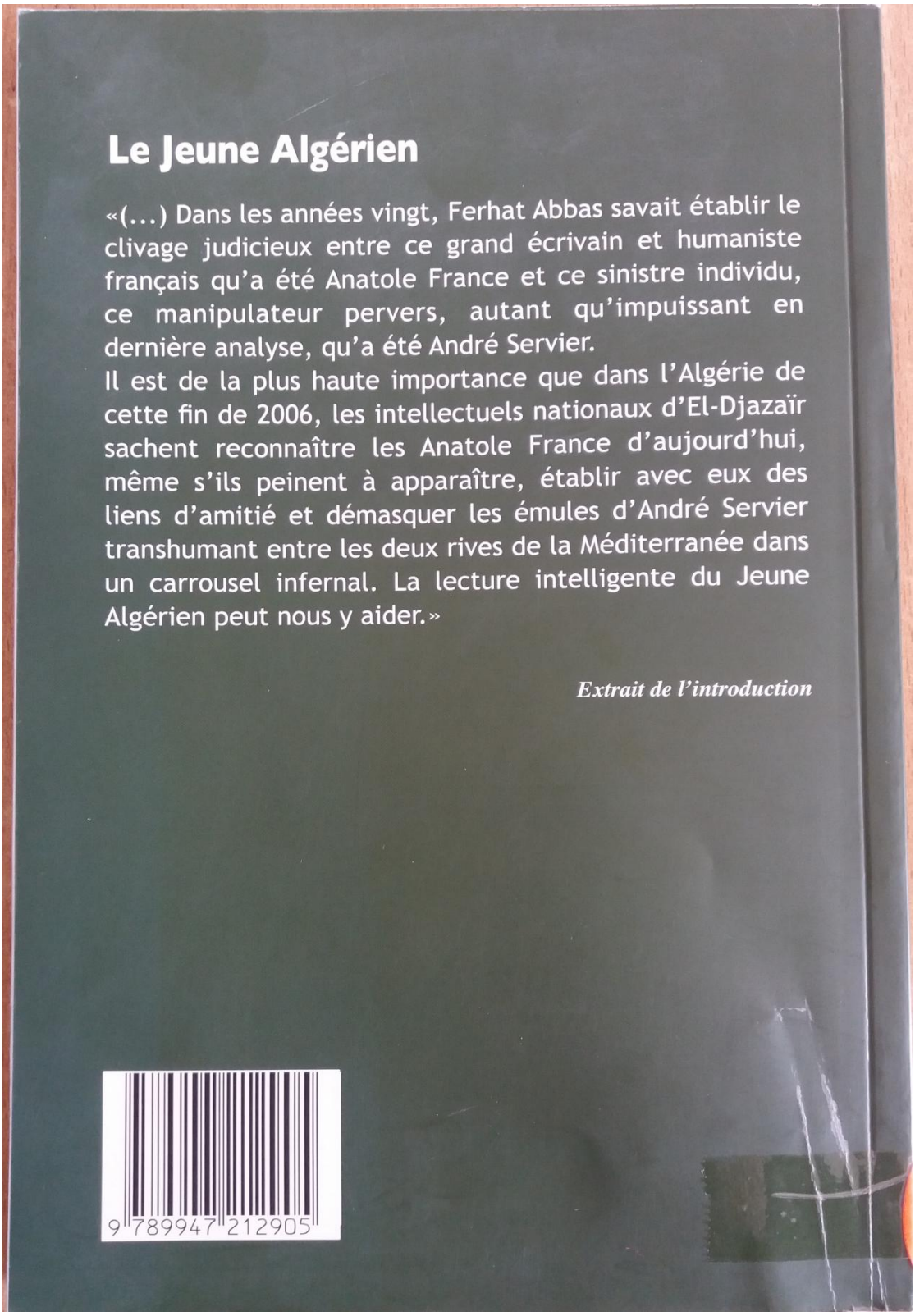

Le Jeune Algérien

«(...) Dans les années vingt, Ferhat Abbas savait établir le clivage judicieux entre ce grand écrivain et humaniste français qu'a été Anatole France et ce sinistre individu, ce manipulateur pervers, autant qu'impuissant en dernière analyse, qu'a été André Servier.
Il est de la plus haute importance que dans l'Algérie de cette fin de 2006, les intellectuels nationaux d'El-Djazaïr sachent reconnaître les Anatole France d'aujourd'hui, même s'ils peinent à apparaître, établir avec eux des liens d'amitié et démasquer les émules d'André Servier transhumant entre les deux rives de la Méditerranée dans un carrousel infernal. La lecture intelligente du Jeune Algérien peut nous y aider.»

Extrait de l'introduction

9 789947 212905

[1] – Ferhat Abbas , op , cit.

الملحق رقم 16: صورة لأحمد توفيق المدني[1].

[1] – أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص5.

الملحق رقم 17: صورة لواجهة كتاب الجزائر[1].

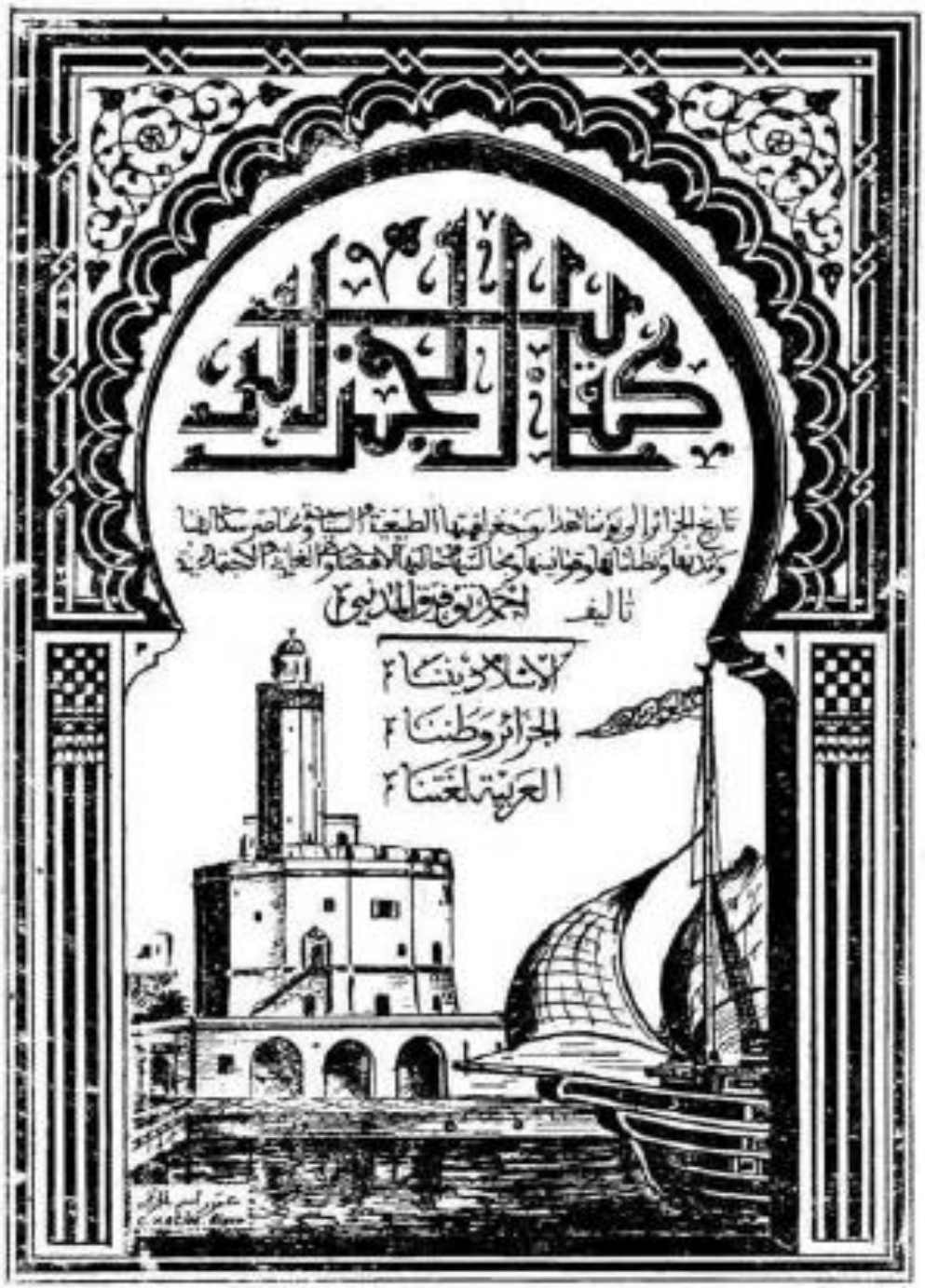

[1] – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق.

الملحق رقم 18: صورة للعلامة عبد الرحمن الجيلالي[1] .

[1] – https://www.marefa.org, 22-05-2018(22:00)-22-052018(22:20).

الملحق رقم 19: صورة لواجهة كتاب تاريخ الجزائر العام[1] .

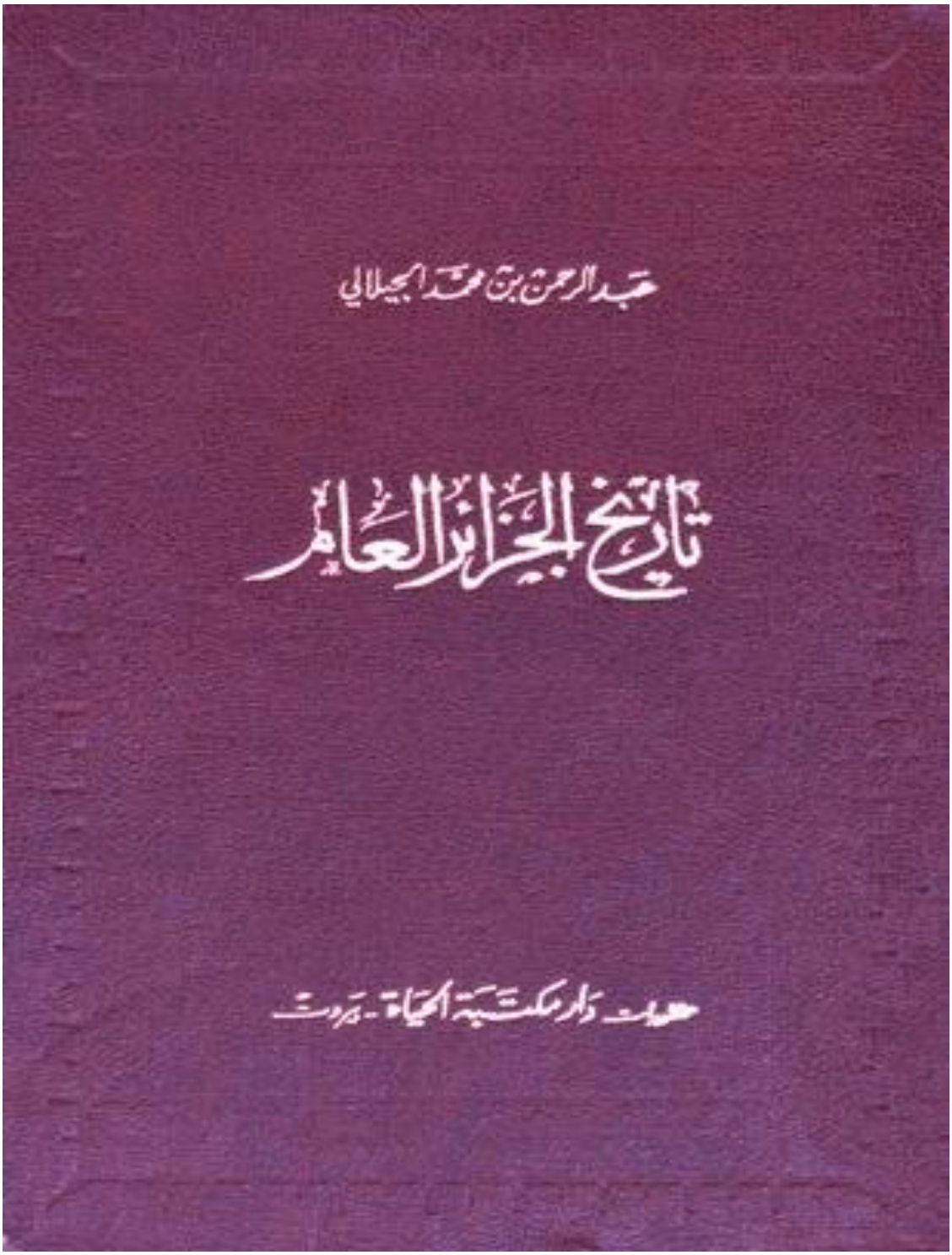

[1] – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم.

أولا المصادر:

1- الكتب:

بالعربية

1- **ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن المكرم**، لسان العرب، ج2، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت.

2- **الإبراهيمي أحمد طالب**، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج5، ط1، دار الغرب الاسلامي،1997.

3- **الأفغاني جمال الدين**، العروة الوثقى، ط3، دار الكتاب المغربي، بيروت، لبنان، 1983.

4- **بن عبد القادر محمد**، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، ع ب، داوود بخاري، رابح قادري ،ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2012.

5- // // ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ،ط2، شر. وتح. ممدوح حقي، دار اليقظة، بيروت 1964.

6- // // ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، غرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903.

7- **الحفناوي أبو القاسم**، تعريف الخلف برجال السلف، تح. خير الدين شترة، ج1 ، ط2، دار كردادة ، الجزائر، 2013.

8- // // ، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، تق. محمد رؤوف القاسمي الحسني، الجزائر، دار موفم للنشر، 1991م.

9- **كورين شوفاليه**، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر 1510-1541م، تر. جمال حمادنة، ط1، الجزائر، 2007.

10- **كحول محمود**، التقويم الجزائري، السنة الثانية، مطبعة فونتانة ، الجزائر، 1912.

11- **المجاوي عبد القادر**، إرشاد المتعلمين، تح. تع. تق، عادل بن الحاج همال الجزائري، ط1،دار ابن الحزم، الشركة الجزائرية اللبنانية، 2008.

12- **المدني أحمد توفيق**، حياة كفاح ، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

13- **السنوسي محمد بن عثمان**، مسامرات الظريف في حسن التعريف، تح.تع، محمد الشاذلي النفير، دار الغرب الإسلامي،ط1، 1994.

14- **فرحات عباس** ، الجزائر من المستعمرة إلى المقاطعة (الشاب الجزائري)، تر. أحمد منور، المؤسسة الوطنية للأتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2007.

15- // // ، ليل الاستعمار، دار القصبة للنشر الجزائر، 2005.

16- **الغبريني أبو العباس**، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح. تع، عادل نويهض، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979.

2- بالفرنسية:

1- **Ferhat Abbas**, Le Jeune Algérien , Impression ANEP , Alger, 2009 .

ثانيا: المراجع:

1– الكتب:

1- **أولمان سومية**، دور الشيخ المجاوي عبد القادر وكتابه إرشاد المتعلمين في الصمود الفكري بالجزائر، الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، الجزائر، 2013 .

2- **أمين أحمد**، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، الأنيس للنشر، الجزائر، 1990.

3- **بوطالب عبد القادر**، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية (من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير)، منشورات دحلب، الجزائر، 2010.

4- **بوعزيز يحي**، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط1، دار موفم، الجزائر، 1991.

5- // // ، الإتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.

6- **بوصفصاف عبد الكريم**، رواد النهضة والتجديد في الجزائر (1889-1965)، طبعة منقحة، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، 2007.

7- **بوضرساية بوعزة**، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830–1962م وإنعكاساتها على المغرب العربي،دار الحكمة، 2010.

8- // // ، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

9- **بلعباس محمد**، الوجيز في تاريخ الجزائر، ط1، دار المعاصرة للطبع، الجزائر، د.ت.

10- **بلقاسمي بوعلام وآخرون**، موسوعة أعلام الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007.

11- **بن نبي مالك**، وجهة العالم الإسلامي، تر. عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، 1970.

12- **بن صالح ناصر محمد**، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط2 الغاديزاين، الجزائر، 2006.

13- **بن قينة عمر**، الديسي حياته وآثاره وأدبه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.

14- // // ، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م.

15- **بركات أنيسة**، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، ط1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.

16- **الجزائري بديعة الحسني**، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، ج1، تر. أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الوعي، الجزائر ، 2012.

17- **الجزائري محمد بن عبد الكريم**، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، دار الثقافة، بيروت، 1970.

18- **الجيلالي عبد الرحمن**، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط8، دار الامة، الجزائر، 2010.

19- // // ، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1975م.

20- // // ، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1981.

21- **دبوز محمد علي**، أعلام الإصلاح في الجزائر (1921-1975)،ج3، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1978.

22- // // // ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

23- **الزبير سيف الإسلام**، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

24- **حلوش عبد القادر**، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1870– 1914م ، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 1999م.

25- **حميد عبد القادر**، فرحات عباس رجل الجمهورية ، دار المعرفة ، الجزائر، 2001 .

26- **حساني مختار**، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية "مدن الوسط"، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

27- **الطهاوي محمد**، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ط3، دار الأمة، الجزائر، 1999م.

17- **المدني أحمد توفيق** ، كتاب الجزائر ، ط2 ، نشر دار الكتاب ، الجزائر ، 1963م.

18- // // // ، هذه هي الجزائر، د ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.

28- **مدني بشير**، أحمد توفيق المدني معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية، ط1 ، وسام براس للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر، 1998.

29- **الميلي مبارك**، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق.تص. محمد الميلي، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب ت.

30- // // ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3 ، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

31- **الميلي محمد**، الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.

32- **مراد علي**، الحركة الإصلاحية الاسلامية في الجزائر ،تر. محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

33- **مريوش أحمد**، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1 ، دار هومة، الجزائر، 2007.

34- **مرتاض عبد الملك**، نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1883.

35- **نويهض عادل**، معجم أعلام الجزائر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت ، 1983.

36- **سيف الإسلام الزبير**، صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988.

37- **سعد الله أبو القاسم**، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996.

38- // // // ، الحركة الوطنية الجزائرية (1830- 1900)، ج1،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

39- // // // ، الحركة الوطنية الجزائرية (1930 - 1945)، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

40- // // // ، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

41- // // // ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، دار البصائر، الجزائر، 2007.

42- // // // ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1998.

43- // // // ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1998.

44- **سعيدوني ناصر الدين**، منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.

45- **عبد الله الطاهر**، الحركة الوطنية التونسية، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990.

46- **عويمر مولود**، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2007.

47- **عوض صالح**، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، ج1 ، الزيتونة للنشر والتوزيع والإعلام، الجزائر، 1989.

48- **عيساوي أحمد**، أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، ط1، دار الكتاب الحديث، 2012.

49- **عمارة محمد**، جمال الدين الافغاني، موقض الشرق وفيلسوف الاسلام، ط1، دار الشروق، د ت ط.

50- **عمورة عمار**، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر خاصة، من قبل التاريخ و إلى 1962م، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

51- **العسيلي بسام** ، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار النفائس، ط2، بيروت، 1984.

52- // // ، الصراع السياسي على نهج الثورة الجزائرية ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان، 1982.

53- **عقاب محمد الطيب**، حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، ط1، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1982.

54- **الصالح الصديق محمد**، أعلام من المغرب العربي، ج3، موفم للنشر، الجزائر، 2000.

55- **قداش محفوظ وصاري جيلالي**، المقاومة السياسية 1900-1954م الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، تر. عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

56- **قنانش محمد**، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ب ت.

57- **رضا محمد رشيد**، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ج1، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1931.

58- **الشهراني حسين بن معلوي**، حقوق الإختراع والتأليف في الفقه الإسلامي، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2004.

59- **تركي رابح**، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

60- **تشرشل شارل هنري**، حياة الأمير عبد القادر، تر.تع، أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.

61- **الخطيب أحمد**، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

62- **الخطيب مصطفى عبد الكريم**، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

1- **بوعبد الله عبد الحفيظ**، فرحات عباس بين الإدماج والوطنية 1919-1962، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف يوسف مناصرية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006.

2- **بن عدة عبد المجيد**، مظاهر الإصلاح الديني والإجتماعي للرواد المصلحين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.

3- **دويدة نفيسة**، تطور فكرة الوطنية الجزائرية عند فرحات عباس 1927-1955م، مذكرة ماجيستير في التاريخ، إشراف عمار بن سلطان، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 2005.

4- **مسمعي محمد**، دور أعلام منطقة أم البواقي في الحركة الإصلاحية والثورة التحريرة 1900-1962م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، إشراف شايب قدادرة، جامعة منتوري قسنطينة، 2009 – 2010.

5- **معزة عز الدين**، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال 1899-1985م، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري قسنطينة، 2005.

6- **خليفي عبد القادر**، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983، ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري قسنطينة، 2006 -2007.

رابعا: المجلات :

7- **البوعبدلي المهدي**، دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين، الأصالة، ع44، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1977.

8- **بوعزيز يحيي**، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنيين 19 و20 م، مجلة الدراسات الإسلامية، ع07، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، جوان 2005.

9- **بوشنافي محمد**، الكتابة التاريخية في الجزائر العهد العثماني نموذجا، مجلة العصور الجديدة، ع03-04، وهران، 2011 -2012.

10- **بكاري عبد القادر**، عبد الرزاق ابن حمادوش والكتابة التارخية من خلال رحلته لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال، مجلة عصور الجديدة، م7، ع26، وهران، 2016-2017.

11- **بن أبي شنب سعد الدين**، النهضة العربية بالجزائر من القرن 01 إلى القرن 14هـ، مجلة كلية الآداب، ع01، جامعة الجزائر، السنة الأولى، 1964م.

12- **بن قينة عمر**، عبد القادر المجاوي حياته وآثاره، مجلة الثقافة، ع48، ديسمبر 1978.

13- **بقطاش خديجة**، أوقاف مدينة الجزائر بعد الإحتلال الفرنسي عام 1830، مجلة الثقافة، ع62، وزارة الثقافة، الجزائر، 1981.

14- **مناصرية يوسف**، مهمة ليون روش في المغرب، مجلة التاريخ، عدد خاص، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1983.

15- **عويمر مولود**، الشيخ عبد القادر المجاوي وكتابه إرشاد المتعلمين، جريدة البصائر، ع600، الجزائر، 20 ماي 2012.

16- // // ، ذكرى الشيخ عبد الحليم بن سماية، جريدة البصائر، ع531، 23 جانفي 2011.

17- **عمارة علاوة**، الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع03 ديسمبر 2008.

18- **خليفي عبد القادر**، الكتابات التاريخية وبعث الوطني الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية 1931 - 1950، مجلة أبحاث ودراسات، جامعة تبسة، ب ت.

19- // // ، سياسة التنصير في الجزائر، المصادر، ع09، 2004، ص139.

20- **خرفي صالح**، الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث، الثقافة، ع01، الجزائر، مارس 1971.

خامسا: الأيام الدراسية والملتقيات العلمية:

21- **بن صحراوي كمال**، الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الإستعمارية القرن 19م أنموذجا، أعمال الندوة الوطنية حول تاريخ الجزائر الثقافي، جامعة ابن خلدون تيارت، 13 فبراير 2018.

22- **عوني أحمد**، الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، أشغال الملتقى الثقافي الوطني تاقدمت عاصمة الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، أيام 27-28 مارس1996.

سادسا: مواقع الأنترنيت

1. https://www.ahlalhdeeth.com
2. https://www.marefa.org
3. https://ar.wikipedia.org/wiki

الفهـــرس

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة .....أ – و

الفصل التمهيدي: دراسة تحليلية تاريخية لعوامل ومراحل التأليف بالجزائر(1830م-1954م).

المبحث الأول: التعريف اللغوي والإصطلاحي لحركة التأليف. 9

1- التأليف لغة. 9

2- التأليف إصطلاحا. 9

المبحث الثاني: عوامل ظهور حركة التأليف التاريخي بالجزائر. 10

1 – الأوضاع السياسية: 10

2- الأوضاع الثقافية: 11

3- الأوضاع الدينية: 13

المبحث الثالث: مراحل التأليف التاريخي بالجزائر إبان الإحتلال الفرنسي. 15

1- المرحلة الأولى (1830م – 1900م): 17

1-1- المؤلف الجزائري وكتابة التاريخ بداية الإحتلال الفرنسي: 18

1-1-1- حمدان بن عثمان خوجة وكتابه المرآة: 18

1-1-2- أحمد بن القاضي وكتابه "الدوابر والزمالة وحركاتهم": 19

1-1-3- أحمد الشقراني وكتابه القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط: 19

1-2- ظهور المطابع: 20

1-2-1- مطبعة فونتانة 20

1-2-2- مطبعة الثعالبية 20

2- المرحلة الثانية (1900م - 1954 م): 21

2-1- مؤلفوا مرحلة النهضة الجزائرية: 22

2-1-1- السعيد بن زكري وكتابه "أوضح الدلائل على وجوب الزوايا في بلاد القبائل":... 22
2-1-2- عبد الحليم بن سماية (1866م-1933م) وكتابه "فلسفة الإسلام": 22
2-1-3- محمد بن أبي شنب (1869م - 1929م) "فهرست الكتب المخطوطة": 23
2-2- الحركة الإصلاحية وفكرة الجامعة الاسلامية: 24
الفصل الأول: المؤلف الجزائري ودوره في ميلاد الوعي السياسي.
تمهيد 27
المبحث الأول: شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي وكتابه إرشاد المتعلمين: 28
1- سيرته الذاتية (1848م- 1914م): 28
2- جهوده الإصلاحية ونشاطه السياسي: 29
3- كتاب إرشاد المتعلمين:..... 30
4- القيمة السياسية للكتاب:..... 32
المبحث الثاني: محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري وكتابه تحفة الزائر:..... 34
1- سيرته الذاتية (1840-1913م):..... 34
2- كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر: 36
3- القيمة السياسية للكتاب:..... 39
المبحث الثالث: الشيخ أبو القاسم الحفناوي وكتابه "تعريف الخلف برجال السلف"..... 41
1- سيرته الذاتية (1850م-1942م):..... 41
2- نشاطه الثقافي وإنتاجه الفكري: 44
3- كتاب تعريف الخلف برجال السلف: 46
4- القيمة السياسية للكتاب:..... 49
خاتمة الفصل: 50
الفصل الثاني: أعلام الحركة الوطنية ونشاطهم في تطور العمل السياسي.
تمهيد 52
المبحث الأول: مبارك الميلي وكتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث. 53

1- سيرته الذاتية (1898م-1945م):..... 53
2-كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث:..... 56
3- القيمة السياسية للكتاب:..... 59
المبحث الثاني: فرحات عباس وكتابه "الشاب الجزائري LE JEUNE ALGERIEN "..... 60
1- سيرته الذاتية(1899م – 1931م) : 61
2- كتاب الشاب الجزائري: 64
3- القيمة السياسية للكتاب:..... 69
المبحث الثالث: أحمد توفيق المدني وكتابه الجزائر. 70
1- سيرته الذاتية (1899م - 1983م): 70
2- كتاب الجزائر: 73
3- القيمة السياسية للكتاب:..... 75
المبحث الرابع: عبد الرحمن الجيلالي وكتابه تاريخ الجزائر العام: 78
1- سيرته ذاتية (1908م-2010م): 78
2- كتاب تاريخ الجزائر العام: 79
3- القيمة السياسية للكتاب:..... 81
خاتمة الفصل: 84
خاتمة..... 86
الملاحق:..... 87
قائمة المصادر و المراجع: 109
فهرس المحتويات:..... 120